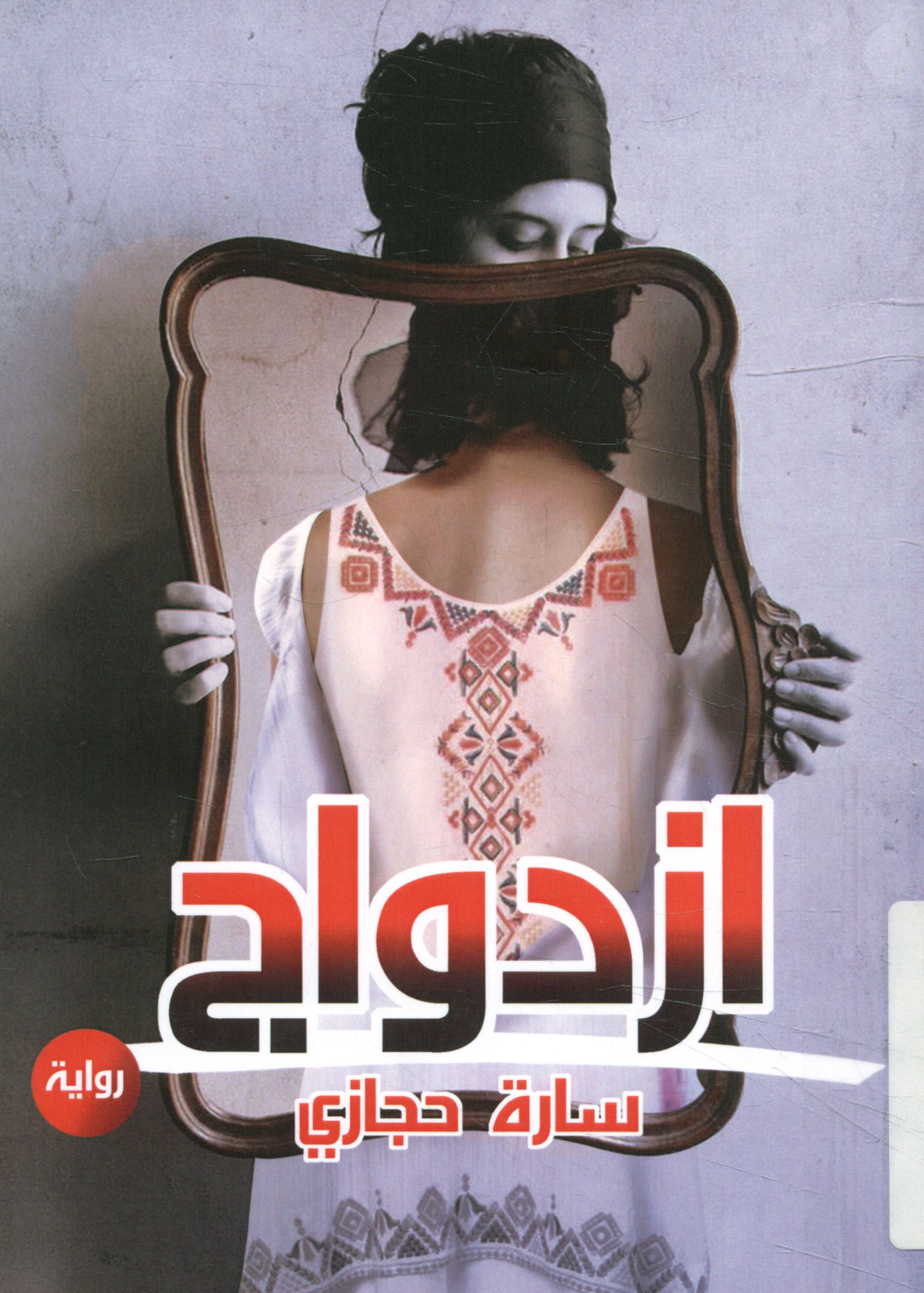

ازدواج
رواية
سارة حجازي

ازدواج

الكتاب : ازدواج
المؤلف : سارة حجازي
تصميم الغلاف : مي يسري
تدقيق لغوي : محسن عباس غريب
رقم الإيداع : 2014/9506
الترقيم الدولي : 978-977-6436-68-8
الطبعة الأولى : 2015



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372   011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com

ازدواج

رواية لـ

سارة حجازي



إهداء أول

إلى سيدة اللغة العربية إلى معلمتي وملهمتي إلى آسرة المشاعر بموهبتها على بعث الحب في قلوب الآخرين إلى أمي الروحية د. أسماء فرغل

إهداء ثانٍ

أهدي هذا العمل إلى روح شخصية كلٍّ من عاليا و سهام ...لعل "هنا" تستطيع أن تجد ذلك السلام الداخلي يومًا ما في غيابهما ...كماكان في حضورهما...

أُهدي هذا العمل إلى كل من شعر إحساس الفقدان...فعليك بتقبله... حتى لا تفقد عقلك...لعلك تجد العزاء يوما ما...

هنا

أشكر الهوى الذي أخترق عيني فعرفت أني لازلت قادرة على البكاء.....

قامت وأحضرت حقيبة يدي ،وقالت لي:

– عليكِ التخلص من المرآة والهاتف المحمول.

أخبرتني أنه يتوجب علي أن أعود إلى هيئتي التى رأتني بها في أول مرة ... لم أستوعب كلامها...عنفتها...احتضنتني... قالت لي منذ أول يوم رأتني ،وأنا أتحدث في المرآة, طلبت مني رقم الهاتف, أعطيتها الرقم لكن الهاتف كان معطلا في يدي, طلبت رقم هاتف المنزل ... لكن حين سألت عني عرفت بموت صديقتي...فشغلت تفكيرها بدافع الحب و كأني ابنتها... لأنها حين فقدت أمها في الصغر كانت تتحدث إلي فساتينها...حتى عُرِضت على طبيب للتخلص من ذلك الارتباط المرضي بشيء يخص شخص فقدته... كأني قد ورثت ذلك السلوك منها...فهي حالة نادرة, لا تلم بملابستها طبياً ؛لكنها تعي أن الحب دواء القلوب العليلة...

من وجد منكم حلماً على قارعة طريق, فليعتنِ به جيداً...قد كان حلمي و أضعته...

أنس الزغارى

تأملت لحظة من عمري وجدتني أعيش على الأرض ، ولكنى أستطيع أن أذهب بعقلى إلى أى مكان أريد , قد أمكث فى هذا المكان لآخذ أنفاسى وأستريح من ملاحقة أحلامى بعيدة المنال, التى يراها الكل مجرد أحلام...قد ألهث وراء رغباتي لتحقيق الشيء الذي في متناول يدى وما هو بعيد المنال حتى فى الأحلام لكني أتتبعه أيضاً . كانت أبسط هذه الأحلام هى الحصول على بعض الذكريات السعيدة مع من أحب دون أن أتذوق دموعى اللاذعة حين أفارقه، بالرغم من فراقي لكل من أحببت وتعلق قلبي بهم , تذكرت مقولة "تعددت الأسباب والموت واحد"...تساءلت أيهما أصعب الفراق بأسباب دنيوية أم الفراق بأسباب قدرية "الموت", وجدت أن الموت هو الأسهل فقد يتيح لك فرصة التواصل مع من تحب طالما كنت حياً, لكن الفراق الآخر قد يقتلك وأنت حي ترزق...ربما قائل العبارة كان يقصد موت الأحباء وهم أحياء حزنا على أحبائهم غير قادرين على تحمل آلام الفراق.

منذ أيام طفولتى فقدت أناس أحبهم من العائلة والأصدقاء, أفترق عنهم بموتهم أو بسفرهم، ومن ثم يتوجب على أن أرتب أفكاري وأنظم عقلى لاستقبال الواقع الجديد لأعتاد الحياة بدونهم،وفى كل مرة أفقد شخص عزيز على قلبى أدرس شيء جديد أو أبتعد عن عادة قديمة اعتدت ممارستها مع هذا الشخص, مما جعلنى متعددة الثقافات,

مزدوجة التفكير؛ فتارة يرق قلبى وأكبح رغباتى بسبب الدين وتارة أخرى أخرج عن الطور رفضا للمجتمع وأحكامه.

اخترت أن أتغلب على الحزن باختيار العمل الذى يوفر لى رحلات الترحال, الحرية, الطيران, الذى يتيح لي التمرد ليس على أهلي فقط, بل على "هنا" نفسها, حتى لا تتعلق بأحد قد يفارقها... أتمرد على كل ممنوع وكل مرفوض فى نظر العرف والمجتمع...أقبل المرفوض, أرفض المقبول حتى أتنفس الهواء ،وأنا محلقة في سماء الحرية .

أتممت الرابعة والعشرين من عمري, لا أتذكر كيف كنت قبل ذلك...لكني الآن لدي الكثير لأهتم به, أصدقائى, جدتى , والدتي, دراساتى بجانب أبحاثى فى النفس البشرية التي لايقرأها سواي, لا أناقشها سوى مع ذوات الأفق العالي والفكر الممنوع, فقد اعتدت الاهتمام بالتفاصيل وراء كل ما هو مرئي...أحيانا لا أهتم بالأحداث فى حد ذاتها, إنما سبب حدوثها و ما النتائج المترتبة عليها، أثقلت هذه التفاصيل أكتافى, أصبحتُ مترددة فى إتخاذ القرارات أو الإقدام على شىء لا أدرك جميع عواقبه.

كل هذا عزلني عن الواقع و إدراكاته...كنت دوما أُفَضِل الهجرة إلى الركن الخاص بي كلما أجهدني التفكير، أجدت كل طرق الهروب حتى لا أضطر للمواجهة, وإن كانت حتى مواجهة نفسى فضلا عن مواجهة الآخرين و فقدانهم.

وجود "سهام" فى دائرة حياتى ملأ المتبقى من وقتي، استطاعت أن تشغلني بتفاصيل حياتها العجيبة الغريبة والمريبة بعض الشىء...لكن الشبه بينها وبين صديقتي التي انتقلت إلى الرفيق الأعلى جعلها تأسر مشاعري... لا أفكر فى سلوكها وردود أفعالها المثيرة للشك...حتى نظراتها الخائنة،كعادتي مع من أحب شعرت بالمسئولية تجاهها، لحمايتها من الآخرين الذين يلتهمونها بأعينهم...الذين كنت أشعر بهم تذوب مشاعرهم من حنان صوتها ويسعدون بوجودها؛ منهم من يجازف بالاقتراب حتى يشعر بحرارة جسدها وسحر القرب من أنفاسها، لكن الأغلب كانوا يفضلون مشاهدة اللوحة عن بعد...

لديها القدرة على قتل الوقت، القضاء على أي حزن أو شجن بداخل أي روح، بالتالي تصبح منحنى هام في حياتها، لكن كأي شخص كان لديها جانب مظلم، مخفي بداخلها...هي دوماً الطرف المتحكم في معظم أطراف علاقاتها مع الآخرين، تعطي الأخر الانطباع إنه الطرف الأهم في العلاقة ، الطرف ذو اليد العليا... تجعل كل فرد في حياتها على إختلاف مكانته وأهميته، يدرك أنه هو الشخص الأهم على الإطلاق لديها...فتؤكد له أن الآخرين شر لابد منه أو روتين أو مجرد علاقات إجتماعية لا غنى عنها، تقنع نفسها دوماً أنها تتصف بالولاء، لكنها فقط تخلص لمصلحتها ومنفعتها وما ييسر أمورها... لم أستطع أن أتخذ قرار الإبتعاد عنها، مع أنه كان قرارا مُلحا من داخلي، لا أعرف سببه أو مبرره، كذلك حبي لها ومشاعري تجاهها لم تكن مفسرة كأن

لديها سحر خاص أو سم منتشر في عروقي، بحثت كثيراً عن تفسير لهذه المشاعر, لم أجد لها سبب غير توافق الأرواح...

فاصل

سبب التوافق أو التنافر مع الآخرين الذين نقابلهم فى الحياة فنشعر أننا نعرفهم من قبل ذلك اللقاء, فنتواصل معهم فى وقت قصير كإننا نعيش معا سنين طويلة قبل لقائنا الفعلي... هو تلاقى أرواحنا فى العالم الأول ... و مدى توافق أو تنافر الأرواح فى العالم الأول يترتب عليه قبول أو نفور فى العالم الثاني (الحياة الدنيا)..... عمر عبد الكافي.

عودة بعد الفاصل

توطدت علاقتي بسهام, فبدأت أثق بها, لكن ليس تماماً, لم أعتقد يوماً أنها ستظل معي للأبد,كان عندي شبه يقين أن شيئاً سوف يحدث يوماً ما سيجبرنا على الابتعاد؛ فى عيد ميلاد سهام لم يحضر أحد من أصدقاء الدراسة ؛فكل واحد منهم كان لديه حياته وأما صديقات العمل أو من تقول عليهن أصدقاء رفضن بحجة ارتباطهن بأشياء أخرى ؛بينما الحقيقة هي الشعور بالغيرة من سهام؛ لأنها المفضلة لدى الآخرين ،واقتصر عيد الميلاد في المرسم عليّ أنا و خالد وبالطبع هي...

توالت رحلاتها فى العمل...كالعادة كانت تتحول شخصيتها من الودودة الحنونة إلى المنعزلة الشرسة التي ترفض الاختراق, تحجب

كثيراً من التفاصيل، تقصى كثيراً من الحقائق، لكنها عادت منتشية متجددة...قابلتني في المكتبة بحضن رائع.

قالت لي: "إنها جائعة جداً (هناكل إيه ؟)" قلت لها: "بيتزا" .

ذهبنا لنأكل كالمعتاد في مكاننا المفضل ذي الزجاج العاكس يطل على النيل الساحر ليلاً ونهاراً... يرن هاتفها، فترد على تليفونها بنظرة ساقطة :

"إزيك يا حبيبتي...أنت فين...أنت وصلتي...إحنا كمان وصلنا مستنينك".

نظرت إليها نظرة أرعبتها...فقالت لي: "أنا عارفة إنك مش هتحرجيني، هي كلمتني وأنا نسيت أقولك" فابتسمت ابتسامة فهمت منها...أني أعي تماماً الحقيقة أن كل هذا ليس صدفة، إنما قامت هى بترتيبه، لا أعرف لماذا ،فلا أستطيع أن أمنع شعوري من الغيرة عليها...فى وجود الآخرين، في نفس الوقت لا أستطيع أن أمنع نفسي من قراءة ما يجول بأنفسهم.

اعتدت التزام الصمت لأكون مستمعة جيدة، إلى أن أصبحت لا أسمع الكلام الذى يقال فقط، إنما الكلام الذى لايقال بالألسن، لكن بالأعين أو بلغة الجسد من لمسة باردة و أخرى حانية، تجد فيها السكينة فتقصيها عن العالم الخارجى.

أكملنا طعامنا, طلبنا قهوة وصودا ليكونا مناسبين مع السجائر..وإن كانت عادة التدخين, لم أكتسبها إلا معها, أصبحت أستمتع بها للغاية في بداية الأمر ... و احترفتها بعد ذلك... أصبحت خبيرة في أنواع التبغ, أسعارها, البلاد المنشئة...حتى تاريخ الشركات المنتجة.

أتت أخت سهام بعد ذلك, وانضمت إلينا, بدت ملامح الغيرة واضحة على تينا, من وجودى أولاً ثم من وجود صديقتها، قامت "سهام" بتصرف غير مفسر, أمسكت بيدي للمرة الأولى

قالت "وحشتيني أوي افتقدتك وأنا مسافرة"

لمعت عيناي وغمرني الدفء...احمرت وجنتاي من الخجل والمفاجأة.

بعد ذلك قالت "سهام" بصوت منخفض "أنا مش معايا فلوس مصري, ممكن تدفعي لي وبعد كده هحسبك"...

لم أبال كالعادة, بدأت إيما (الصديقه الجديدة) تخطف الانتباه بسردها قصة تعارف مع رجل زميل بالمهنة, لكنه أكبر منها بحوالي خمس وعشرين سنة قابلة للزيادة...لديه معارف, أملاك ومجالات عمل متعددة تقوم على العمولات... تتحدث إيما بانبهار، ونحن نستمع باستنكار عدا "سهام" فلديها خلفية بالطبع ؛فهي تفضل إذا لم تكن مصدر الخبر, أن تكون أول من يعرفه، طلبنا شيك الحساب, قمت أنا

بالدفع بعد أن قالت إيما لـ"سهام" :ممكن تدفعي لي" ولم تبال سوى تينا, غضبت بسبب تحملي كل النفقات بلا امتعاض !"

توالت المقابلات...بدأت علاقة "سهام" و "إيما" تتباعدا ويزداد الغموض بينهما, إلى أن انقطعت في ظروف غامضة، بررت "سهام" ذلك بأسباب واهية تناسب اعتراضاتي على شخصية تينا, ربما لترضى غروري، بالطبع كلها أسباب غير حقيقية.

أصبحت "سهام" غامضة بعض الشئ تكذب أحياناً, تخونها بعض النظرات الساقطة حين تكذب لترى عيني وردود أفعالي وانطباعاتي على وجهي, وبذلك كنت أتأكد من كذبها..

ظهرت شخصية نسائية أخرى تسمى سهر، ذات شعر أسود طويل متفجرة الأنوثة، لها جسد مغري, ذات ضحكات مثيرة، نظراتها غير بريئة...تدعي البراءة، بالطبع يسعد بوجودها كلٌ من أسعد إسماعيل وحازم الجميل أكثر من كل بنات الجروب ،وأكثر من يعترض عليها هى تينا أخت سهام...بالطبع لم أكن على وفاق معها ليس لأى شيء سوى إنى لا أستطيع أن أستشعر بها أى نوع من أنواع الصدق.

لم أستطع معرفة سبب اهتمام سهام بها, أو حتى سر الصداقة بينهما لعدم وجود أشياء مشتركة سوى المهنة، كانت سهر مغترية, مسقط رأسها الشرقية...قد يكون الظهور بجوار سهر يجعل الآخرين يقارنون بين شخصية سهر و"سهام" لصالح "سهام" بالطبع!....

في أحدى مقابلاتنا رن هاتفي " بدي أشوفك .. وائل جسار", لمعت عيناي, أخذت الموبيل بعيداً, كاد قلبي يتوقف عن النبض من شدة الفرح...خرجت بعيداً عن المطعم, حتي لا تسمع سهام المكالمة:

قلت "آلو خالد أنت فين ؟!"

_ "أيوه يا هانم، أنتِ نسيتيني ولا إيه.. عموماً أنا أحسن منك كالعادة وهوصل مصر بكره .. هتسنيني أكيد".

فرددت وقلبي يكاد يخرج من صدرى "هتوصل الساعة كام"

_ "٧ بالليل"

فقلت :تيجي بالسلامة يا خالد.

أغلقت التليفون ،وأنا أشعر أن روحي سافرت لقطر احتضنته, ورجعت مرة أخرى تسمرت في مكاني حتى أتت "سهام", وضعت يدها على قلبي.

" هَنا .. مالك .. بتكلمي مين .. كل ده "

قلت لها: "يلا ندخل عشان منتأخرش على الناس أكتر من كده, نتكلم بعدين"

رمقتني بنظرة تنم عن عدم رضاها تماماً، فهي لم تعتد من أحد غيرها الغموض، عدت للمنزل, وأنا لا أشعر بالأرض تحت

قدمي...كالعادة وجدت أمي تقول "يا مين يلم الصايعين", إاتسمت, قبلتها

قلت لها :"محدش يقدر يا أمي".

جلست في حصة إستماع لما حدث من أحداث اليوم بينها وبين أم فلان وبنت فلانة ... ونمت و لم تنه حديثها بعد؛ فرأيت خالد أمامي, فجأة يجري مهرولاً ويرمي حقيبة يده, يحتضنني ويقول (وحشتيني)... استيقظت على صوت "سهام" في التليفون, تقول " أنتِ وحشة "!..

ابتسمت متسائلة " أد إيه؟"

-" وحشة أوي ، يلا يا كسولة عشان نروح المكتبة"

- " طبعاً! اقفلي عشان أدخل الحمام".

- " هنفطر سوى ".

تقابلنا في السنتر بجوار المكتبة تناولنا الإفطار الشهي ،ثم شربنا قهوة و برتقالا, دخَّنا بعض السجائر...ظلت تفكر كثيراً... أتسألني عن أمس أم لا نظراتها لا تستطيع أن تخبئ ما بداخلها...

سألت: " ها.. مين صاحب أو صاحبة المكالمة الطويلة إمبارح ؟"

فسكت بابتسامة لا تحبها؛ لأني مدركة أن الفضول سيقتلها, لكنها تحاربه بقوة, تنتظرني لأتكلم...

قلت وأنا أطلب الشيك "نتكلم في (البريك) حتى لا يضيع وقت المكتبة".

غضبت, تركتني أدفع الشيك, سبقتني للمكتبة, سألتني "هنمشي على إمتى؟".

قلت لها: "في الخامسة تماماً".

سألتني : "وبعد كده وراكي حاجة ".

أخبرتها أني سأذهب للمطار لاستقبال صديقي خالد ،وهو من كلمني أمس، فاستغربت لأنه صديق مشترك لي ،ولم أخبرها عن علاقتنا من قبل؛ فبررت أننا أصدقاء منذ خمس سنوات ،وإني أحترمه جداً".

قالت ساخرة: "ولكن إمبارح مكنش ردة فعلك بتقول إنه صديق".

سألتني : " هو في حاجة أنت مخبياها عني!"

رددت بصوت مرتعش "لا ولكن التفاصيل ليست مهمة للدرجة".

غضبت مرة أخرى, لكني لم أهتم ... ذهبت للمطار يفوح من يدي عطر هادئ كان يحبه خالد، خرج خالد متأنقا بجاكيت جلد طبيعي, حذاء جلد طبيعي ذي طراز كلاسيكي, لازال لديه تلك الابتسامة الساحرة البريئة, التي تجعل كل ملامح وجهه تبتسم ،وخصوصاً عينيه البنية العميقة اللامعة...سلّم على يدي بحرارة جعلت جسدي يرتعش حتى الأطراف...ربت على كتفي بيديه.

قال : "وحشتيني أوي".

قلت : "وأنت كمان وحشتني".

قلتها و أنا أغوص في حضن يديه الممسكة بيدي بعمق كعمق المحيطات, وسألته أن نجلس في مكان ما لنشرب قهوة,ثم تذهب للبيت, وافق, فذهبنا إلى مقهى البورصة, شربنا شايا وعصيرا, قضينا ساعتين في سرد نوادره في قطر,والصعوبات التي وجدها في عمله, ثم انتقلنا إلى السياسة ،ثم إلى التاريخ وفي الآخر تحدثنا عن إنجازاتي, التي لم أرد الكلام عنها... حتى لا يحط من طموحي كالعادة...

ما كان دائماً يدهشني منه, أنه بالرغم من اعترافه بحبه لي إلا أنه يعتبرني صديقته المفضلة، كان دوماً يشعر بي حين أكون مشتتة أو مكتئبة أو مجروحة؛ فيتصل بي على الفور, ليسألني عما يحدث لي, عما إذا كنت بخير، كان يتفهم شعوري تجاه الآخرين, خصوصاً اجتماع شعور الحب مع الكره لأي شخص أحبه, فتارة أحبه و لا أستطيع الاستغناء عنه أو العيش دونه, و تارة أخري أكره هذا الشعور الذي يتملكني ،وأحاول التخلص من كوني أسيرة له...طال الحديث معه, وكانت أفكاري كلها متجهه إلى الحلم الذي لم يتحقق ،وعما إذا كان سيتحقق يوماً.

بعد أن تركته، ذهبت إلى المنزل، وجدت مروة (صديقة الدراسة الثانوية) تنتظرني، سلمت عليّ وأحتضنتني بطريقة تجعل الآخرين يشتهون هذا الحب الصادق ...

قالت لي :"أنا كنت هعزمك في عيد ميلادك في مكان أورينتال بس أنتِ اللي اتهربتي ،فجبت كيكة عيد الميلاد لنحتفل سوى"

أطفأنا الشمع، ثم توالت الاتصالات بمروة على هاتفها النقال, لكن لم أعرف من يتصل عليها, بدت كأنها من شخص لا تريد أن أعرفه, ومن كلامها الغير واضح... فهمت أن المتصل يوصيها أن تقول لى "عام سعيد" على لسانه أو لسانها, لكني لم أهتم.

ظللت ليلاً أتحدث مع "سهام" على التليفون... أقص عليها روايات من تأليفي لتنام كالأطفال...عندما نمت, حلمت بخالد وأحمد عبد الوهاب ومروة وصديقتي التي.... كلها لقطات سريعة,لا أعرف الرابط بينها, استيقظت على صوت سهام:" يا كسلانة ، يلا هتروح عليكي نومه عندك شغل ".

قفزت من على السرير، ارتديت ملابسي وانطلقت، وصلت للعمل باكراً لأحظى بالقهوة وأدخن سيجارة الصباح فى (On The Run)

قابلت "سهام" حظينا ب الكابتشينو و العصير، دخنا سجائر عدة, ثم سألتها هل سنتقابل في آخر الرحلة ؛قالت: لا لأنها مرتبطة بموعد ،وبالطبع لا يسعني أن أسألها أين هذا الميعاد إلا إذا أخبرتني هي....

بعد أن عدت من الرحلة ذهبت لجدتي ،وانهالت عليَ بالقبل والأحضان والدعوات ،وأنا مختبئة في حضنها الدافئ ، دفء يكفي العالم أجمع, ظللت أسمع قصصها عن الأسلاف إلى أن راودني النوم, عندما استيقظت, عدت للمنزل, فوجدت أمي تنتظرني لتعطيني التقرير اليومي عن مغامراتها في نظافة المنزل ،وأفعال الجيران الغير لائقه فاستمعت ،وأنا أبدل ملابسي ،و غفوت وهى لا تزال تتحدث.

استيقظت في اليوم التالي على صوت مروة تبكي " الحقيني أنا محتاجاكي أوي" فنظرت في الساعة وقلت لها أنني سأمر عليها عندما أنهي عملي, حين ذهبت لمروة وجدت حفلة من المواساة من بنات أعرفهن ،وبنات لم أرَهنَّ من قبل ،وكأن قد مات أحدهم...

فسألتها " في إيه؟ حد حصله حاجة ؟"

قالت "اتخانقت مع طاهر ،وشك فيه إني بخرج مع حد غيره ،وفي حد بعت له رسالة إني بخونه وبغشه" وهمست في أذنها "أنتِ لسه بتقابلي حد من القدامى"

فابتلعت دموعها ،وقالت بصوت أجش (لا طبعاً) ونظرت لي بنظرات لم أفهمها.

عدت إلى المنزل، في وقت متأخر، فوجدت أبي .

سألني :" إيه يا نونا ، إيه اللي أخرك كل ده؟ "

قلت له: "معلش خلصت متأخر"

قفزت على السرير وضبطت المنبه لأستيقظ لكي أحضر مناقشة رسالة أحد الأصدقاء، وفى المناقشة قابلت د/ رغدة المشرفة على رسالتي، وتعمدت أن أجعلها تراني لتعرف إني أعمل في الرسالة ولكني لم أكن أنجز فيها أي تقدم بالرغم من قضائي وقت كبير في المكتبة مع سهام.

اتصلت "سهام" وصوتها يخنقه البكاء" إنت فين ؟ "

قلت :" أنا في الجامعه"

قالت :" طيب أنا هستناكي في الفندق - أحد الفنادق المطلة على النيل التى اعتدنا قضاء أوقات فراغنا هناك- حين ذهبت وجدت المطفأة مليئة بالرماد, كأنها تجلس منذ فترة طويلة...

سألتها :"أنت هنا من بدري"

قالت :"لا، أنا لسه جايه"

سألتها: "مالك؟"

أجابتني :" مخنوقة ومش عايزة أحكي ، اتكلمي أنتِ "

قصصت عليها ماذا فعلت مع د/ رغدة, فسألتني عن خالد, فاضطررت أن أقص عليها, لكي أخفف عنها...بعدها أوصلتها لمنزلها ثم عدت لمنزلي...لم أجد سوى أخي, لم أره منذ فترة .

قلت له: "مدحت ، إزيك عاش مين شافك"

فابتسم وهو يتحرك ليرتدي ملابسه والمحمول على أذنيه ،ويتكلم مع خطيبته ؛فسألته أن يذهب ليرى جدته فقال :"إن شاء الله".

اتصل بي خالد "هَنا، هشوفك بكرة ؟ " فأجبته: " حاضر" و النعاس يغلبني، استيقظت فجأة على كابوس أن "سهام" تتركني وترحل وأنا توسل إليها وهي لا ترد ولا تبالي.

تقول لى: "أنتِ اللي اخترتي"

فاتصلت بها فوجدتها نائمة ،فقالت لي بصوت ناعم "أنت فين؟ وحشتيني"

قلت لها :"وأنت كمان ، هنتقابل بكرة؟"

أجابتني :" نتكلم الصبح"

مرت أيام عدة بنفس الأحداث مع اختلاف الترتيب ،فعملي ليس له ميعاد محدد إنما جدول لكل شهر، وفي يوم قابلت إيما صديقة "سهام" في الاستراحة...أخذت تقص عليّ قصصا مضحكة و تبادلنا أرقام الهاتف لتوطيد العلاقة بيننا.

ثم جاء ميعاد رحيل خالد ، لقد قابلته خلال تواجده في مصر حوالي أربع أو خمس مرات أحياناً يغلبه شوقه فأستشعر هذا الحنين

والشوق في نظرته أو في سلامه أو في دعمه الشديد لي الذي يزداد عن المعتاد عليه, أحياناً أخرى تغلب عليه الـ (أنا) تلك الأنانية المعروفة عندما يتحدث إليّ عن حكم الحرية الأبدية التي لن تنتهي بالارتباط ويغذيها السفر والترحال.

في المطار قال لي: " أنا عايز أطمن عليكي، ولو في أي مشكلة في أي وقت هتلاقيني ، أنا دايماً وعلى طول موجود جنبك لأدعمك وأنا واثق في قدراتك بس المفروض إنك أنتِ كمان تثقي في وفي حدسك تجاه كل شيء ".

حينها تذكرت حدسي الذي كان دائماً ينبئني أني لن أرتبط بخالد, ولكن الحلم والتمني يغلب هذا الحدس. فوضعت يدي على خده، خللت أصابعى بين ذقنه المقلمة بشكل أنيق.

قلت له: "أنا بحبك زى ما أنت كده بس كان نفسى نكون مختلفين شويه عشان نلاقى أرض نتقابل عليها، أنا بجد محتاجلك ومش بطمن غير وأنا ماسكة فى إيدك".

اقتربت منه وقبلته فى وجنته، فاقترب مني ووضع يده على كاتفى وقبل جبينى.

قلت له " اطمن .. أهم حاجة أنك تعتني بنفسك وتكون سعيد"

فضحك ضحكة بريئة ساخرة معناها "أنا أفعل"

ودعته وأنا أكره لحظات الوداع أو بمعنى أصح لحظات الفراق، بعد ذلك قابلت "تقى" فى حديقة الأزهر .والتى اعتدنا اللقاء فيها منذ افتتاحها لنستمتع بسحر القاهرة القديمة, سكون المقابر مع تكدس الأحياء بخلفية خضراء .

تقى هى صديقتى المتزنة عقليا،وفى نفس الوقت قريبة خالد لذا أحب التواجد معها عسى أن يصيبنى بعض من هذا التوازن .وقد كانت صديقتى من قبل أن أعرف خالد .وهي لا زالت عند رأيها ألا أتعلق به وأبني عليه آمال حيث أنها صدمت من قبل في حبيب لها بنفس العقلية ولا تريد لي نفس الألم ، ألم الصدمة . وهي تعي تماماً أنه مختلف مثقف وحر لا يتحكم أو يسيطر علي، يثق في قدراتي, يحترم آرائي وأنوثتي دون أن يخترقها بنظرة أو بتعليق وهذا أكثر شيء جذبني إليه .وهي نقطة تشابه بينه وبين أحمد عبد الوهاب (حُبي الأول) الذي لازلت أبحث عنه في كل من أقابل...

فكرت كثيرا فى حبى لخالد وعما إذا كان حب حقيقى, ربما هى براءته و إحتفاظه بطفولته بالإضافة إلى نظراته التى تخلو من الشهوانية, وحين أضع يدى عليه أشعر كأنى ألمس طفل صغير تأكلنى الرغبة لأقبله, لكن يردني عقلي إلى أرض الواقع فكثيراً...أشرد وأنا بجواره لأستشعر كيف سيكون إحساسى إذا لمست وجهه أو قبلته بين عيونه العسلية.

جلست أنا وتقى نتبادل النميمة على مروة وخالد وأسرتينا اللتين برغم اختلافهما إلا أنهما متشابهتان في خطوط عريضة مثل الأب المتكاسل والأم الحانية الكادحة والأخ المدلل ،وإن كان أخوها أفضل حالاً من أخي في طريقة احترامه وحبه وخوفه على أخته الوحيدة.

*****

في اليوم التالي قابلت "سهام" بعد العمل في BUNO كافية، مكاني المفضل المكسو بالمرايا في جميع الأركان، أستمتع فيه بالوقت, وإن كنت بمفردي يمكنني قضاء الوقت بمشاهدة الآخرين...كأنهم كتاب مفتوح تنتقل بين صفحاته بحرية... دخنّا النرجيلة, كانت سهام مليئة بالأحداث ،وظلت تتحدث معظم الوقت، كأنها تريد أن تتأكد أني لازلت في مكاني من علاقتي بها,فجأة سكتت وسألتني:

" أنت ليه بتحبيني ؟"

صعقني السؤال، تحممت بثلج وماء مغلي في آن واحد، كأني أسمع السؤال للمرة الأولى، ما أذهلني أكثر من السؤال أنها متأكده من أنها تشبه شخصية في حياتي الماضية يجعلني أعشق التواجد معها ،وأنبض بالسعادة حين أشم عطرها، حتى نوع عطرها نوع عتيق كلاسيكي يشبه الطبقة الأرستقراطية ... غيرت الموضوع بشياكة لم أجب عن السؤال الذي تيقنت من أنها تعرف إجابته بل ويرضيها هذا وتستمتع به أيضاً.

حين أبديت تعجبي من السؤال بررت بأنها تعرف أشخاص لا أعرفهم قالوا لها إنها تشبه شخصية من ماضيهم لذلك يحبون التواجد معها دون سبب أو حتى معرفة ،وصعقت أنا من ذلك وقلت لها "أتعنين أنه لا يفرق معك أن تكون سبب صداقة الناس لك هو ذاتك أنت أو شكلك لديهم فيجعلهم يتعاملون معك بحنين وعطاء لتعويض شيءفقدوه . قالت بلا مبالاة: "ما يهم أنهم يجيدون التعامل معى وليس السبب هو المهم"

طوال طريقي للمنزل والحوار يدور في بالي وأتذكر صديقتي التي توفيت ومن قبلها خالتي ،وتذكرت لقطات من حوار د/ إبراهيم الفقي، كيف يتغلب الناس على فقدان الأحبة...

فاصل

حين تجد من يحملق فيك ويسرح ،وهو ينظر إليك لا تهاجمه بنظراتك ولا تتأذى من ذلك فقد تكون تشبه فقيدا إليه ويتذكر معك ذكريات سعيده في خيالية يشبع منك عينيه ليطفئ حنين إلى فقيده في قلبه "وما خلق الأربعين شبه من فراغ ولكن لسبب"...د/إبراهيم الفقي

عودة بعد الفاصل

وصلت المنزل وجدت ابنتي المشاغبة "ماما" عينها حمراء دامية وتعصب رأسها بعصابة حمراء وترتدي ثوب نوم لونه أزرق داكن فابتسمت، وقلت :"كملت، إيه يا حاجة مالك يا بيضة" قالت: " أم

حنفي جارتنا... إلخ" وجدت نفسي أتوه في سلسلة من الأحداث لعدة أشخاص لا أعرف عنهم الكثير وتركتها تكمل ،وأنا أنظر إليها وأحدث نفسي: "أكيد أم كدة لازم يكون عندها بنت زي كدة" لأن الأم ذاتها تفتقد الأمومة ولا تستطيع التأقلم بعد فقدان أختها فاتخذتني كأم بديلة لها بسبب الشبة بيني وبين أمها"...وهأنذا ،وعندما أكملت جلسة الاستماع قلت لها " معلش يا حبيبتي ، هما أساساً ميعرفوش قيمتك وأنت بتحبيهم زيادة ، أنت اهمليهم هيرجعوا كويسين وكمان أياً كان ميستهلش تدمعي عينيكي العسليتين ديه وتحمريها كده .. أعملك شاي"

قالت " آه .. ويا ريت طبق مكرونة سخن"

فسألتها "والسكر أخباره إيه ؟" قالت " هاكل وبعدين آخد الدواء "

استيقظت في الصباح ،وارتديت لوني المفضل " فوشيا" لأذهب لأستقبل صديقة لى من كرواتيا في المطار ،وفي انتظار طائرة كرواتيا... أخذت الإفطار مع النسكافيه والسجائر وبعضا من عصير البرتقال...فجأة وجدت من يمد يده بمقدحه قائلاً: " أنت بتشربي إيه؟ ومن أمتى ؟.. أنت دلوقتي بتشربي سجاير" وأنا صامتة أنظر إليه في صمت وحب وإستعجاب لا أعرف ماذا أقول ولا أستطيع أن أتنفس .

قلت :"أحمد ".

" أنتِ بتعملي إيه هَنا ؟"

" أنا مستنية ناس أصحابي .. عامل إيه ؟ "

قال " أوعي تقولي إنك لسه مرتبطيش ولا اتجوزتي"

كان ينظر ليدي فنظرت إليه وابتسمت مع نفس عميق ، وتذكرت حين كنا نتقابل الجامعة ،وأتصنع أن يدى تولمنى من الكتابة حتى يدلكها، ويقربها من فمه فيتوقف قلبى عن الخفقان ،وأشعر بالحرارة تسير بجسدى من شعرى وحتى أطرافى.

قلت له :" لا بالطبع أنا مرتبطش"

فضحك قائلاً :" عامله إيه يا "هَنا" ؟ وحشاني كتير أوي.. مفتقدك ، يا ترى أنا لسه في قلبك ؟"

قلت "أنت هنا بتعمل إيه مستني مين .."

قال "أمي راجعه من عمرة عقبالك كده لما تسلمي" ...

قلت له " ها .. قولي خمس سنين عملت فيهم إيه ؟"

سكت وتنهد تنهيده طويلة وقال :" أبدأ خلصت المعهد ،ولم أذهب حتى لأخذ الشهادة ،واتجوزت وجبت "هَنا" .. فنظرت له قائلة " إيه ده أنت اتجوزت .. واو طيب مبروك.. و"هَنا" عندها أد إيه ؟ "

فضحك ، وقال " مش هقول " وكان ينظر إلىّ نفس هذه النظرة التى كانت تجعلنى أقبل كتفه ،ثم أقول له :"عشان خاطرى يا بيبى

قول" ثم دام الصمت بيننا ،ونحن نتكلم بالعيون...توقف هذا الحديث بنداء طيارة كرواتيا , فقلت له :" الطيارة وصلت سأذهب لأستعد" وسلمت عليه وأطلنا السلام بالأيدي والنظرات، ثم سألني رقمك " ٠١٠٠٠٠٠٠٠." لازال كما هو فضحكت "ما شاء الله الذاكرة ..."

ذهبت لأقابل جينا كالعادة قابلتني بهذا الحضن الدافئ الذي يجعلني أنسى همومي وكل شيء ،ولا أتذكر سوى ابتسامتها, ذهبنا للفندق وضعنا الحقائب ،ثم ذهبنا إلى منطقة الحسين؛ لأنها تعشق المقاهى القديمة هناك خصوصا مع أكل البامية فى طواجن وتدخين النرجيلة،وشرب الصودا بعد هذا الأكل الدسم.

سألتني :" مالك ؟ جواكي حزن عميق تدفنينه بأعماقك وبتخبيه بضحكاتك الصاخبة"

أجبتها "أبدأ أشعر بالغربة في كل مكان في المنزل ومع الأصدقاء ،وإن كنت أشعر براحة معهم أكثر مما أشعر في أي مكان آخر مع اعتراضي على مواقفهم في الحياة فهم يعشقون اللون الرمادي ولا يجيدون تحديد هوايتهم أو ردود أفعالهم أو مواقفهم تجاه أي شئ فلا يرفضون أي شئ رفضا تاما، ولا يتقبلون أي شيء بدون سبب وإنما كل شئ وكل موقف وكل شخص له رد فعل مختلف لديهم ،ويحدد هذا الموقف مصالحهم وليس مشاعرهم الداخلية، فهم يتجنبون حتى التحدث عن مشاعرهم الحقيقية، وإن فعلوا... فيكون أيضاً لكسب شيء ما في صالحهم ،وإن كان هذا الشئ هو قلب بني آدم" ... وامتلأت عيوني

بالدموع فوضعت يدها على كتفي ،وقالت أنا أعرف إنك قوية ،وستتغلبين على كل ذلك آجلاً أم عاجلاً حين تجدي طريقك ،وتحددي هدفك وتشبعين حاجاتك....ضحكت وقلت " يا مين يعيش..."

أمضيت يوما عجيبا ما بين ذكريات الماضي ولقاءات الحاضر وكلام عن المستقبل, كان يقطع يومي وسعادتي اتصالات "سهام", كنت أرد في برود لا أعرف لماذا ؟؟ فلا يوجد سبب لتجاهلها...لكني اتصلت بها قبل أن أخلد للنوم, قبل أن تلقي وابل اللومات والاعتراضات, أعطيتها تقريرا عن يومي, لكنه ليس حقيقيا جداً أو لأني اقتطعت منه الأجزاء الخاصة بأحمد وجينا...كدليل على عدم خيانتها...

في اليوم التالي ذهبت لمقابلة "سهام" في المكتبة، قابلتنى بحضن دافىء ،وقالت لى " وحشتيني أوي ، عايزين نقعد مع بعض ونحكي كتير أوي" لا تنفك ذكريات الماضي حين أتذكر هدى صديقتى رحمها الله التي كانت تشبه "سهام" كثيراً والاختلاف الوحيد هو نقاء القلب الذي تفتقده "سهام", تستطيع أن تلعب بمشاعري, فلا أستطيع سوى التنبؤ بنهاية مأساوية لنا سوياً...لأنني كنت أخشى الانكسار و قررت كثيراً الابتعاد عنها ولكن مع سحرها المسموم وحنيني الذي لا يرتوي... أتمني أن أكون مخطئة ولست مظلومة، بلا شك لم يكن هذا سوى حلم ،وتأثير هرمون الحب على مراكز الإدراك فيسبب خللا إدراكيا في مراكز الحواس كلها "مراية الحب عامية"

على مدار أسبوعين تلقيت اتصالات من صديقة "سهام" القديمة "إيما"...توالت المقابلات بيننا...بدأت تتوطد علاقتنا...كنت أظن أنى أستطيع مساعدتها وإخراجها من قصة حب فاشلة خاسرة مع رجل أكبر من والدها, كان ثريا...لكن ثراءه توقف بسبب الأحداث السياسية, فبدأت هي بالإنفاق عليه...كانت العلاقة بينهم تتعدى إطار الحب، كان بينهما لقاءات خاصة، فتحولت العلاقة لعلاقة جسدية بشكل أو بآخر ،ولم أستطع يوماً أن أعرف ما مدى هذه اللقاءات...كان أ/ كمال حبيبها يشك دوماً بها وبتصرفاتها وغيابها ...كان دوماً يسبها بألفاظ خارجة هي وأهلها و أصدقاءها, لكنها سرعان ما تصالحه وتعتذر وتتوقف عن الفعل المثير للشك أو إن كان لديها صديقة تتركها ؛لأنه يعي تماماً أن وجود أي شخص في حياتها يهدد وجوده الغير منصف لها ..

لكن ما يظل علامة استفهام كبيرة بالنسبة لي ولا أجد له تفسيرا إلى الآن هو لماذا أو كيف تقبل فتاة جميلة ومثيرة، من أسرة متيسرة برجل ضعف عمرها على الأقل، والذى يهين كل ما هو غالٍ ونفيس لديها، يتحكم بها بل ،ويخالها عبدة عنده لتفوز بأشياء ووعود لم تنفذ إلى الآن أو بعد علاقة دامت ثلاث سنوات .. ماذا يمنعه ؟؟

لا أجد مبررا له فهى لم تخسر في هذه الحياة سوى جدتها التركية التي ربتها في الصغر ،وصديقة طفولتها وهي ابنة خالتها ظلا سوياً حتى السنة الأخيرة في الثانوية العامة ،ومن ثم تركتها لأنها كانت سترتبط

بشاب تعرفت عليه في الشارع ،واشترط عليها أن تقطع علاقتها بـ إيما لأنها دوماً تنتقد تصرفاته وإهاناته المستديمة لها!!!...

قابلت "سهام" وأخبرتها عن إيما وعلاقتها بـ كمال لأني أريد أن أساعدها ولا أعرف كيف.. وفي نفس الوقت كان مدخل جيد لأقول لها عن كل هذا اللغط حولها ،وحول الناس التى تعرفهم وعن علاقاتها، واستمعت "سهام" بازدراء وعدم اكتراث لكلامي وكأني أخبرها شيئا لا تريد أن تعرفه أو لديها خبر مسبق عنه.

في اليوم التالي اتصل على هاتف والدتي رقم مجهول في منتصف الليل, فلم أرد فأرسل رسالة " لسه زي ما أنت .. " فنظرت للرسالة, نمت وفي الصباح كان هناك حوالي ثلاثون اتصالا من هذا الرقم فاتصلت فوجدت أغنية "لسه بحبك" فأغلقت فإذا به أحمد عبد الوهاب يتصل, سألني عن أخباري, خصوصاً عما إذا كنت ارتبطت أم لا...

سألته"إيه مشكلتك وأنت قد ارتبطت بالفعل ؟؟"

سكت وسألني عن مروة وأخبارها, فأخبرته إنها بخير.

سألني :هل ارتبطت؟

فقلت له :"بخير في موضوع ارتباط كده ،وربنا يتمم على خير بس في شوية عقبات"

سأل: "إيه العقبات"

قلت له "العريس، مستواه الاجتماعي والمادي والعلمي أعلى منها، أهله لا يوافقون على الزيجة"

ضحك، سكت، سألته" بتضحك ليه؟"

أختنق صوته وقال لي: " ممكن أسألك سؤالا؟ "

فأجبت :"لا"

أنهيت المكالمة وقلبي يعتصره الألم ،وذكريات الجراح تنهمر عليّ ولا أستطيع إيقافها...ذهبت إلى "كافيه " لأني كنت في حاجة ماسة إلى الكتابة والنيكوتين وأن أكون بمفردي.

اتصلت بي مروة, وكانت تبكي "أنا هتخطب "

فضحكت " إزاي يا مصيبة ؟ "

سألتني عن مكانى ،وقلت لها عن مكان تواجدي.

فقالت :"خلاص أنا هجيلك وأنا جعانة أوي"

حين أتت ظلت تتحدث ساعتين متواصلتين وتأكل وتشرب - فهى لن تدفع الفاتورة- وما استخلصته من كذبها أنها استدرجت أحد

المعجبين ليتقدم لخطبتها حتى تثير غضب وغيرة طاهر...بلاتردد قبلت العرض.

في حفل الخطوبة لم تتوقف مروة عن الرقص حتى نهاية الحفل، ولم يكن أحد من المدعوين راضيا عن العريس فهو دون المستوى, كالشخصيات التي استيقظت فوجدت عندها ثروة من السماء... أثناء الفرح اتصل أحمد وسأل عن سبب الضوضاء, فأخبرته أني في حفل خطوبة مروة سألني عن المكان... قابلته أمام قاعة الحفل.

علق على العريس قائلاً: " بس ده مش النوع إللي مروة بتحبه"

قلت له " لا ، دي خطوبة غصب أو تخليص حق"

فضحك وقال "كان نفسي أكون معاكي وأنت لابسة الفستان الأبيض وهي دي الأمنية الوحيدة التي تمنيتها من الدنيا".

لم أستطع أن أمسك دموعي, وقلت له "أنا لازم أدخل هتدخل ولا وراك مشوار"

قال :"لا أنا بس كنت عايز أشوفك وأتكلم معاكي"

فسألته عن حال زوجته فضحك قائلاً "بتسلم عليكي" ثم رحل ...

قررت بعدها ألا أراه أو أرد على مكالماته مرة أخرى حتى أخرج من هذه الحالة المزرية, سألتني تقى " ماذا حدث؟" فقلت " أحمد عبد

الوهاب كان بره " فانتابها الذهول ،وسألت بعينيها فلم أجب عليها، وجلست على المنضدة حتى انتهى الحفل...

في اليوم التالي اتصلت "سهام" متسائلة لماذا أنا ممتنعه عن الاتصال بها ،وهل أحاول أن أتخلص من علاقتها أو أنهي صداقتنا, اتهمتني أني شخصية صعبة الإرضاء, لا أرضى بالقليل مهما فعلت, إنني المفضلة بين صديقاتها ،وإني أكثر من صديقة لها؛ لإنني أعرف أشياء لا يعرفها سواي ...

وأغلقت معها وأنا في حالة سيئة للغاية، ولا أعرف كيف سأذهب للعمل ،ولكني ذهبت فلقد تعودت أن أنسى همومي بالعمل .. وفي طريق العودة من المترو قابلت تقى .

قالت لي :" مالك ؟ "

أجبتها :" أبدأ كان عندي شغل "

فضحكت وقالت: " وإيه الجديد ؟ أنت أكيد زعلانة من يوم الفرح .. هي مروة عاملة إيه ؟ ولا ده بسبب أحمد "

قلت لها :" والله يا تقى الدنيا كلها ماشية عكس ما أنا عايزة ومش عارفة إيه ممكن يحصل بكرة "

ولكني أشعر أن شيئاً كبيراً سيحدث وأن كل الأحداث ستنقلب ضدي ولا أدري هل أهرب .. أم أواجه ؟!!

قالت " أنت على طول بتهربي .. هربتي من الحادثة .ومن تخلي أحمد عنك بالدراسة والعمل، وهربتي من تخلي مروة عنك ،وصدمتك فيها بمعرفة ناس جديدة ،واعتبرتيها شر لابد منه أو إنها من ضمن المفروضات عليكي كأمك وأبوكي وأخيكي أو حتى كالحياة بشكل معين .. لست راضية عنها أو كالموت الذي يأخذ من تحبين منكي وأنت خلاص خمسة وعشرين عاماً, هتهربي أكتر من كده إيه ؟"

سكت وسرحت في كلامها ،ثم رن جرس الموبايل ،وبالطبع كانت أمي أو ابنتى الصغيرة ،وكانت تسألني " هتيجي إمتى الوقت تأخر .. لكن متنسيش تجيبي أيس كريم وشيكولاتة ولب" فقلت لها " حاضر" وأغلقت وتركت تقى لأنها هي الأخرى قد تأخرت.

في الصباح التالي استيقظت على صوت ماما ومروة يحضران الإفطار, صاحت مروة "إيه يا بشبوشي فين هدية خطوبتي"

قلت لها "افتحي الدرج هتلاقي علبه خديها, وسيبيني أنام"

بالفعل أخذت العلبة ،وأغلقت الباب، وقالت لماما "سيبها تنام, بدل ما تتجنن علينا".

*****

ظلت "سهام" بعد ذلك ثلاثة أيام لا ترد على الهاتف، وأخبرتني صديقتها أنها نائمة لا تريد الاستيقاظ للرد على أي أحد, وحين

استيقظت "سهام" بعد النوم لمدة أربعه أيام ... قالت " أنا عايزة أنزل المكتبة .. هتيجي معايا " فوافقت وذهبنا وكانت تنظر لي نظرات غريبة كلها ازدراء ،ولكنها تتحدث بغير ذلك ، ثم سألتني عما إذا كنت سأحضر عيد ميلاد "مها" السبت المقبل فأجبت بالموافقة ،وإني سآتي فقالت لي " أوكي، وأنت بتشتري هدية، اشتري هدية على اسمي معاكي ونتحاسب بعدين"

وصلت عيد الميلاد متأخرة, فرحلت "سهام"ولا أعرف السبب, بعد أن غادرت اتصلت و أخبرتني إنها قد نالت كفايتها من كل شيء, وإنها تريد الابتعاد عن كل الناس, وتريدنا أن نبتعد حتى لا نصل لدرجة الكراهية ،وحين طلبت منها تفسيرا لذلك رفضت ،ولم أتمالك نفسي وانهرت باكية ولأول مرة منذ وفاة خالتي منذ أربعة عشر عاما ،وشعرت بأن قوايا تخور وشعرت بالانهيار والانكسار ،وطلبت منها أن تعدل عن رأيها ،فقالت نحن سنبتعد لفترة وليست للأبد ،وبررت بأني قد طلبت منها مراراً وتكراراً أن نبتعد لأني لا أستطيع مجاراة شخصيتها وطريقة تعاملها الغير مفسرة والغير مبررة والتي لا أستطيع أن أتعامل معها, لكن كل هذا لم ينقذني من الانهيار ،وأغلقت الهاتف لمدة أسبوع, وحين اتصلت سألتني عن أحداث في حياتها وحياة أصدقائها، لم يكن لديّ أي إجابة؛ لأنها أحداث لا يعرفها...صرخت فيها في انهيار ، إنه من الأفضل الابتعاد :فقالت حسناً هذا ما قلته لنفسي أيضاً وكان صوتها مخنوقا ومجروحا ، مما جرح قلبي وجعلني أشعر أن الدنيا قد فقدت

معناها ،ولا أستطيع التغلب على التفكك الداخلي ولا الشتات الخارجي.

تذكرت فى عيد ميلادى حين قالت لى "هنا أنا بحبك زى أخواتى، ولكن بطريقه مختلفة ومقدرش استغنى عنك ومش هخذلك أبدا ولو أنت خايفة من الموت ده بقى مش مشكلتى الأعمار بيد الله بس أطمنى لو مت فى الحقيقه هعيش معاكى فى الحلم بس أهم حاجة خليكى واثقة فيه"

مرت الأيام والشهور وأنا لا أفارق المنزل إلا حينما تلح جدتي في رؤيتي فأذهب إليها ،وحين تسألني عن أحوالي تمتلئ عيني بالدموع، لكن هي من كانت تبكي لشعورها بمدى وجعي المكبوت تحت جلدي وفي داخل طيات قلبي، في آخر مرة ذهبت فيها لجدتي، قد ساءت حالتها بسببي أنا هذه المرة فبدلاً من أن أكون أنا التي تخفف عنها، وتريح صدرها صرت مصدرا لحزنها ؛فقررت عدم الذهاب إليها إلا عندما أتحسن ،وفكرت في الذهاب لدكتور نفسى .

وصلت العيادة وكنت آخر رقم في القائمة ،وكان عليّ أن أجلس وأشاهد كل الحالات ،ووجدت أني أنا الوحيدة التي في المكان التى لا تحتاج إليه ،ولكني كان عليّ رؤية الطبيب ،فظلت "سهام" مراراً وتكراراً تردد لي أني مريضة نفسياً ،ولديّ مرض خفي، وهي الوحيدة التي استطاعت اكتشافه لمعرفتها لي عن قرب، وأني أحاول التغلب على هذا المرض عن طريق التقرب من الآخرين، وعدم السماح لهم باختراقي أو

التقرب مني إلا بالقدر الذي أريده وإني متمردة وأهرب من حل مشاكلي بالغوص في مشاكل الآخرين وحياتهم.

جلست أنتظر لأكثر من ساعتين أتأمل حياتي ،وما أدى بي إلى هنا فكنت دوماً مقتنعة أن الإنسان هو طبيب نفسه، وأن الله هو الطبيب الأعظم ،وإذا ما كان الإنسان جيد الاتصال مع نفسه ومتصالح معها وعلاقته جيده بخالقه فإنه يستطيع التغلب على أي شيء، ومع ذلك لم أتوقف يوما عن الهروب من الواقع ،والبعد بعقلى عن الواقع لاعود حيثما أود الاستمرار حتى فى لحظات الفراق كنت أستطيع الطيران والتحليق بعيدا إلا فى هذه المرة لم أستطع أن أمنع صوت سهام من أن يزلزل كيانى ويجعلنى أسقط فى هاوية بئر مظلم ، ربى فقط هو القادر على إنقاذى.....

تذكرت وفاة صديقتى الوحيدة هدى ،والتى قضت طوال حياتها معي لم يكن لديّ أصدقاء أو أحبة سواها ،ولم يلفت نظر أمي هذا الخلل وبعد أن ماتت توحدت مع نفسي، وعانيت من الخوف والألم كثيراً ،وما آلمني أكثر هو عدم تقبلي أنها ماتت ،وكنت دوماً أحلم أنها تعود إليّ من الموت حتى حلمت برسول الله (ص) أنه قد مات وإني ظللت أبكي غير مصدقة أنه هو أيضاً مات، وكأني لأول مرة أشعر أنه (ص) مات، والرسالة في هذا أننا كلنا سنموت حتى أعظم خلق الله قد مات.

ثم توحدت مع نفسي لأنها كانت صديقتي وحبيبتي ،وبدأت في كتابة القصص ،وصرت أعيش في الخيال أكثر من الواقع ،وكنت أجد حبيبي وصديقتي وأمي في القصص ،وليس في الواقع ،ثم قابلت مروة في المدرسة ،وكانت حياتها مزرية أكثر مني...والداها منفصلان ،وتعيش هي وأمها الغير متعلمة مع خالتها وجدتها وخالها في مكان غير آدمي، فشعرت أن مسئوليتي هي إسعادها وإخراجها مما هي فيه ،وبالفعل صرت أنا الحارس لها من الآخرين ومن رغباتهم الشهوانيه فيها...أيضاً أحرسها من رغباتها الجامحه التي كانت تريد أن تنفس فيها عن حياتها، وصرت أمها وصديقتها وحبيبتها ورفيقتها حين الحاجة.

توالت السنون إلى أن بدأت تشعر أن وجودي يخنق رغباتها ،وصارت تريد أصدقاء يساعدوها على هذه الرغبات حتى أدى بها ذلك إلى الكذب عليّ، العراك الدائم معي...لم أكن أشعر بالملل من ذلك فكانت بالنسبة لي ابنة ،وفي النهاية اتصلت بي ذات مرة ،وهي في قسم الشرطة الساعة الثانية صباحاً تخبرني أنها ليست عند عمها ،وأنها مع شاب قد حذرتها منه مراراً وتكراراً إلا أنها كذبت عليّ لتهرب من اللوم والجدال ،وكانوا سوياً داخل سيارة بمنطقة المقطم واشتبه فيهم شرطي ،وأخذهم إلى القسم ليتحروا عنهما ،وعن صلة القرابة، وحين سمعت بكاءها انهرت داخلياً ولكني ظللت متماسكة خارجياً لأجلها ،واتصلت بأصدقائنا من الكلية والذين لديهم أقارب في الشرطة إلى أن خرجت في الصباح ،ولم أستطع الذهاب إليها في النيابة لأني لم أستطع رؤيتها في هذا الموقف بعد حماية دامت خمس سنوات.

كنا حينها في السنة الثانية من الكلية، وكانت لا تزال بالسنة الأولى لأنها رفضت المذاكرة برغم مذاكرتي لها في مواد حقوق، وكنت أنا في كلية آثار بعد رفض أمي كلية السياحة والفنادق ،وحين رأيتها بالمنزل منهارة قررت أن أنتظر معها حتى تنهي دراستها ،وبعدها أذهب لحال سبيلي ،وبالفعل أنهت الكلية ،وبدأت بتحضير الماجيستير ،وتعرفت على كل الشباب التي تريد التعرف عليهم ،وأقامت كل العلاقات التي تشبعها، وبدأت علاقتها تتحسن معي حين كنت مرتبطة بأحمد عبد الوهاب، وحين تركني يوم الحادث ابتعدت هي الأخرى ابتعادا غير مفسر، وتواجدها بعد ذلك كان تواجد العادة أو تواجد الانتفاع ،ولم أكن أبالي فاعتبرتها أمر واقع إلى أن تتزوج.

ومنذ السنة الثانية من الكلية توطدت علاقتي بتقى فكانت عكس مروة في كل شيء فهي متزنة، عاقلة، محبة للدراسة والعلم وللعلاقات الاجتماعية الصحية ،ولديها كثيراً من الأصدقاء المحبين لها ،وظلت علاقتنا في أحسن حال إلى أن عادت صديقتها التي كانت تعيش في الخارج فأصبحت تتواجد معي حين الضرورة أو حين الحاجة فقط...

ثم تعرضت لحادث ،وبعد أن تعافيت قابلت "سهام" في نفس الوقت تقريباً، وكانت منعزلة جميلة رقيقة منفردة تشبة هدى في كل شيء، وكنت أتعامل معها على حذر حتى لا أتعلق بها ،ولكنها كانت أمهر مني في العلاقات وكيفية التأثير في الآخرين ،وجعلهم يجيدون كل ما يفتقدون معها فتصير هي .. وهي فقط..

قطع هذه الرحلة الطويلة... نداء اسمي في العيادة .ودخلت إلى الطبيبة فوجدتها جالسة في حجرة بيضاء يملؤها البرود .وهي تتسم بالهدوء القاتل .وكتبت لي وصفة دوائية بها مهدئ قوي .وطلبت مني الذهاب إلى جلسات التحليل النفسي عند طبيب عندها في نفس المكان .ولكن في ميعاد آخر.

اشتريت وصفة الدواء .وعزلني من الدنيا لمدة أربعه أيام لا أستيقظ وحين أستيقظ أكون كمن ليست في وعيها فآخذ جرعة أخرى .وأنام من جديد .ثم ذهبت إلى ميعاد التحليل النفسي .وكانت نتيجة الجلسة أن قال لي الطبيب :

إني لست مريضة نفسية .ولا يوجد لديّ ما أخشاه إنه فقط اكتئاب لأنه قد يؤدي إلى أن أفقد هويتي وأفقد الرغبة في الحياة إذا استمر وأسباب هذا الاكتئاب هي قديمة تعود لموت خالتي وبعدها تلك الأحداث المتتالية .وإستغلال "سهام" لحبي ومعرفتي بذلك .ولم أتخذ أى رد فعل بل أقرضتها مال، ويبدو أنه لن يعود إليّ مرة أخرى وفقدت عملي وكل من حولي به علل بعينها .ولأنني أحلل كل شيء بعمق أصطدم بواقع الأشخاص .وقد يكون قد قل إيماني بسبب توالي هذه الأحداث وفقداني لعملي بسبب أسعد اسماعيل .وانتشار المشاكل التى حدثت بيننا فى كل مكاتب الشركة خصوصاً بعد ذهاب إيما إلى مكان العمل، وفتحت الموضوع على العلن، وقام الطبيب بنصحي بمحاولة التركيز على الإيجابيات في حياتي .وإني قد ساعدت أناسا كثيرين، وإذا

أكملت الماجيستير سأحضر الدكتوراه ،وهذا إنجاز عملي ،وعن العمل فكل شيء نصيب ورزق مقدر ومكتوب في السماء، ونصحني بتقبل العائلة بكل عيوبها في وجهة نظري ،وعزاء ذلك أنهم يحبونني بلا مقابل ليس كالآخرين ،فطلبت منه الامتناع عن أخذ وصفة الدواء لأنه يفقدني وعيي وإتزاني ،لكنه رفض وقال لي شهر رمضان قد اقترب ،وعليَّ أن أحاول تقليل ما أتناوله من السجائر لأن صدري قد تأذى ،وأسناني بدأ يتحول لونها للاصفرار حتى ملابسي أصبحت معطرة برائحة مختلطة من البرفان والدخان ،وكل هذا يفقدني معنى الحجاب، فسألته وما العلاقة؟ فأجاب إن التدخين ملفت جداً للسيدات ،والحجاب من صفاته أن يحجب المرأة عن إثارة الآخرين ثم أعطاني رقم هاتفه إذا ما احتجت أي استشارة خلال العطلة الرمضانية ،ونصحني أن أتوقف عن الاتصال ومراسلة "سهام" لأن هذا سيزيد عنادها ،ولن يجعلها تتحرى وموقفي وبراءتي ،أو يجعلها تتوقف عن اتهامها لي بالخيانة ،ولن تتراجع عن قرارها ،وإن أعطيها وقتا لترى الحقيقة وترى ما سوف تفتقده ،وعن موضوع مها أخنوخ لا أخشى سوى الله فلن تؤذيني إلا بإرادة الله ،والإنسان مبتلى وممتحن دائماً ..

في طريق العودة فتحت موبايل والدتي الذي نسيته معي...بدأ يرن ... أخذت أول اتصال: عمتي تخبرني أن جدتي تريد أن تراني، الاتصال الثاني: كانت مروة تخبرني أنها فسخت خطبتها بسبب كذب خطيبها حول ثرائه ووظيفته، وأنه نصاب ،وليس لديه حتى مؤهل دراسي يوازي

مؤهلها ،وأن منصبه في الشركة عامل وليس مدير فضحكت في داخلي وسألتنى: "أنت في البيت ؟ أجيلك أصلي مخنوقة، فأجبتها : ماما في البيت اذهبي وأنا سوف أصل لاحقاً، ثم وجدت رقما مجهولا ،فرددت اعتقاداً أنها "سهام"وأن ضميرها آلمها وجعلها تتصل ،ولكنه كان أحمد قائلاً :" كل سنة وأنت طيبة"

فتعجبت ،وقلت له " مازال أمامي شهر على عيد ميلادي ، أنت نسيته ولا إيه ؟ "

فقال " بالطبع لا ولكن مثل هذا اليوم تقابلنا أول مرة" وأخبرني أنه يحتفل كل عام بمفرده ،وأراد أن يتصل اليوم لأنه سيتزوج غداً ،ولن يحتفل به مرة أخرى فامتلأت عيناي بالدموع ،فسألته ألم تتزوج بعد فأجابني بلا.. لكني أحببت أن أقول لك إنه بالرغم من أنني غير مناسب لك علمياً أو اجتماعياً أو مادياً إلا أنك أنت أكثر شيء أردته في الحياة .. أكثر شيء أردته أن يحدث لي أو أن يقدره الله لي ،وأن أقضي حياتي معكِ وبجوارك .. وأن أموت على صدرك أو حتى أن أضمك .

أتذكرين يوم الحادث إنه اليوم الوحيد الذي ضممتك فيه إلى صدري، فخانتني دموعي ولم أستطع إيقافها ،ووجدت يدي ترتعش وضربات قلبي سريعة فقد تذكرته ،وهو قادم نحوى فى هذا اليوم وهو متأنق، وأمسك بيدى وقبلها سألته: هنروح فين ؟ فقال لى : فى المكان اللى بتحبى نقعد فيه؛ وهو مطعم مطل على النيل ،وكان آخر مكان خرجنا فيه أنا وهو وأيضا أنا وخالتى- رحمها الله- وفجأه استلم رسالة

نصيه على هاتفه المحمول، ثم توقف لبرهه قبل أن ندخل المكان ،وأخبرنى أنه يريد أن يقول لى خبرا، ولا يريد التحدث فيه فى المكان الذى اعتاد أن يشهد على حبنا ؛لأن اليوم سيكون آخر لقائنا، ولم أسمع ما قاله بعد ذلك فقد تركت يده ،وأسرعت خطواتى و إذا بضوء قوى فى عينى ،وهو ضوء غرفة العمليات بعد أن صدمتنى سيارة...

كان لازال على الهاتف يقول : هَنا، أنت أكثر شيء أحببته في حياتي كلها ..أحببتك أكثر من نفسي ،وكنت مستعدا أن أموت نفسي في الشغل والدراسة ،وكنت بدأت عندما شجعتيني أنت ،ولكني لم أعرف لماذا تخليتي عني ،ولم أجد مبررا لسبب تركك لي غير أني غير لائق لكِ ،وفي نفس الوقت لم ترتبطي ،ولكن مروة أخبرتني أنكِ على وشك الارتباط.

صدمتني الكلمة ، وسألته مروة من ؟! متى حدث ذلك؟! أنا لم أحب أحدا غيرك ،وعندما تخليت أنت عني بحثت عمن يشبهك كثيراً، ويحمل صفات منك فيمن يحيطون بي لكن الشبه لم يكن كافيا لأرتبط بهم.. ولم أكن أثق بنفسي بسببك لأثق أن هناك من يحبني حبا حقيقيا

صرخ بي : كفى، ماذا تقولين ؟! من الذي تخلى عن الآخر؟! مروة أخبرتني يوم الحادث أن هناك عريسا من طرف أهلك ،وهم وجدوه مناسباً، وأنت تضغطين على نفسك من أجلي ،وأنا لو أعطيتك فرصة ستوافقين عليه، فأعطيتك الفرصة وحين أخبرت مروة أن تخبرك بعد

الحادث أني قد نجحت بالكلية ،وأخذت البكالوريوس أخبرتني أنك بدأتي في الماجيستير ،وإنكِ مخطوبة ،ولكني حين رأيتك في المطار لم أر دبلة خطوبة بيدك ،ولم أفهم لماذا اقتنعتي بكلام مروة ،ووافقتي على الابتعاد ولم ترتبطي إلى الآن .. العمر يجري بكِ وأنت لا تريدين الموت وحيدة مثل خالتك أو أن تسرعي من موتك بالتدخين .. أنا تركتك أمانة لنفسك ،وأنت لم تكوني بقدر هذه الأمانة ،وخنتيني عندما آذيتي نفس.

فأغلقت الهاتف ،وانهرت أكثر فتوقف التاكسي، وقال السائق: سأنزل لأحضر بعض الماء ، أتريدين شيئا ما؟ قلت له : أحضر لي سجائر, عصير و صودا ...

حين تمالكت نفسي ،وهدأت قلت للسائق أن يتحرك ،ووصلت المنزل ،وكانت مروة تتصل على الانتظار ،ولم أرد ثم اتصلت حين أغلقت مع أحمد ،ولم أرد فلم أجد لها مبرر للخيانة ،وأن تقول لأحمد أشياء بعيدة كل البعد عن الصحة، وتخبرني أن أحمد تركني لأجل حبه القديم الذي أخبرني عنه، وأن حبيبته قد عادت ،وعليه أن يقف بجوارها ،ثم تقدم لخطبتها بعد أن انسحب من حياتي بسنة حتى لا أعاود الاتصال به ،ولكن لا أعرف كيف أنصتُ إليها ،واستطاعت أن تجعله يوافق على خطتها ،وتجعله يظهر بمظهر المتلاعب حتى وإن كان رد فعل ذلك تعرضى للموت فى الحادث :فجعلته يتركنى وفي نفس الوقت تتركني هي الأخرى، ماذا فعلتُ أنا لكل هذا ؟! وكل هذا رداً على

أي فعل ؟ فلم أفعل أي شيء قد يؤذيها ، فأنا على العكس تماماً قد قمت بحمايتها فوق المسموح وفوق طاقتي.

ذهبت للصيدلية، واشتريت وصفة المهدئ ،وحين وصلت المنزل كانت مروة قد رحلت ،ووجدتها تتصل لتخبرني أن طاهر مر عليها ليوصلها إلى المنزل (فهي لا تضيع وقت !!) وقبل أن أبدأ في الانهيار كنت قد نمت أو دخلت الغيبوبة ،ولم أفق منها إلا على خبر أن جدتي قد نقلت إلى المشفى ،وأنها في حالة لا تبشر بخير.

ظللت مقيمة بجوارها بالمستشفى يومين حتى أفاقت وتعرفت عليّ، وقالت لي: سيبيها على ربنا وهو هيعوضك خير ومش هيتخلى عنك وهيرزقك باللي يقف جانبك ،وأنا عايزة أطمن عليكي بس أنا عارفاكي ومطمنة .. ربك هينور طريقك ولازم نصبر عشان نستاهل الخير اللي ربنا هيرزقنا بيه" وقبلتني على جبهتي ،وقبلت أنا يديها وكتفها ،وقالت لي :اذهبي للمنزل،وبدلي ثيابك ،ونامي قليلاً، وعودي بعدها"

بالفعل عدت للمنزل، نمت و استيقظت على تليفون من عمتي في الصباح الباكر : هَنا .. تيتا خلاص عند ربنا، دخلت على والديّ أيقظتهما ،وارتديت ملابسي ،واتصلت بأخي ،وأخبرته وحين وصلنا المشفى كانت كل العائلة هناك ،ودخلت (المغسلة) وكانت عمتي "إخلاص" هي من سيقوم بالتغسيل ،ولا يوجد من يساعدها فالكل منهار حتى إخوة جدتي ،وبالطبع أمي لا تستطيع الوقوف.

تبرعت أنا بالوقوف معها ومساعدتها ،وكنت متماسكة بشكل غريب وغير متوقع ،وبعد أن انتهينا خرجت عمتي ،وظللت أنا معها لم أرد أن أتركها بمفردها حتى موعد الرحيل ،ووضعت يدي على وجهها ،وظللت أردد " أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله" ولم أبك حتى نهاية العزاء ،وفي طريق عودتنا من الريف حيث أصول جدتي جلست في السيارة بجوار ابنة عمتي (حبيبة أخي) وحين وضعت رأسي على كتفها لم أستطع التوقف عن البكاء حتى وصلنا للمنزل.

*****

دخلت مرة أخرى في الغيبوبة إلى أن نفذت الوصفة الدوائية، ولكني قررت أنى لن أشتريه مرة أخرى ،وظللت أقرأ القرآن وأصلي بالمسجد التراويح والتهجد، وحين انتهي رمضان لم يكن هناك عيد كالمعتاد فقد فقدت معناه مع فقدان جدتي ،فقد اعتدت كل عيد أن أذهب للصلاة معها ،ثم تحضر لي الإفطار ،ونجتمع كلنا وأشعر بدفء العائلة الذي أعتقد أني فقدته للأبد ،وأصبحت أشعر باليتم بالرغم من وجود أمي -حفظها الله - لكن لم أشعر يوماً بأمومتها ،ولكنها كانت مختلفة.

جاءتني رسالة من مروة تقول " كل عيد والحلو سعيد .. أنا هتخطب ثالث يوم العيد" فقرأتها ،وشعرت بالحزن على نفسي فقد أضعت الكثير من أجل أشخاص خانوني وآخرين لم يثقوا بي وآخرين تخلوا عني .. ومرت الأيام التي لا تختلف عن بعضها كثيراً إلا في البرامج

التي أشاهدها .. "إبراهيم الفقي" ، "الشيخ الشعراوي" أو "الحبيب علي الجعفري" وكأنهم يعطونني طاقة لمقاومة الاكتئاب والضعف، ولا أبالي بالكوابيس والحزن والألم الذي يعتصرني والوحشه التي تحيط بي وأنا وسط عائلتي وجدران المنزل التي تذكرني بكل من فقدتهم مع اختلاف الأحباب ،وأقضي معظم وقتي بالظلمة حتى لا أرى الكثير ولا أتذكر الكثير ولا تتركني الكوابيس، ومعظمها أكون مطاردة من قطط أو أسود أو ثعابين ،وحين أنام جيداً أحلم بجدتي أو خالتي تصبرني عما أنا فيه ،وتخبرنى أن الله يبتلينا بنقص في الأموال والأنفس وبشيء من الحزن ليختبر إيماننا ومدى قوته.

استيقظت يوم أفكر في أنني أريد أن أعمل شيئا جديدا، ولن أستسلم مجدداً لأي شيئا، وصليت فريضة الظهر، ووجدت اتصالا على الهاتف الأرضي فرددت ،ووجدت صوت سيدة تقول "السلام عليكم" فرددت " وعليكم السلام" وسألتني " حضرتك هَنا؟" فأجبتها" أجل .. من حضرتك؟" فقالت لي " أنا عاليا " فشردت أبحث عن الاسم في ذاكرتي فقالت لي" أنا أسفة .. هل اتصلت في وقت غير مناسب؟"

فقلت " لا أبداً، أنا أسفة بس حضرتك تعرفيني .. أنا غير متذكرة اسمك ،ومع الأسف المحمول قد تعطل ،ولا يوجد أي أرقام لديّ بذاكرة الهاتف فسكتت ثم قالت: أنا عاليا كنا قد تقابلنا في جامعة القاهرة منذ سنة في امتحان تحديد المستوى للغة الإنجليزية ،وكنت أنت قد عرضتي عليّ المساعدة لأني لا أجيد اللغة الإنجليزية ولأنى

دارسة لغة عربية، فقلت لها : آه تذكرتك .. كيف حالك ؟ أنا أسفة ولكن المدة طويلة ولم أتذكر.. ماذا فعلتي هل انتهيتي ، فقالت: لا، لقد كان عندنا حالة وفاة ،وأحداث متتالية ،ولم أجد الوقت الكافي لاجتياز الاختبار ،وقد اجتزته مرة ولم أحرز الدرجة المطلوبة لدرجة الدكتوراه ، فقلت لها: أنا أسفة لسماع ذلك ، وسألتني :ألايزال عرض المساعدة قائما؟ وأنها مستعدة لدفع مقابل مادي للوقت ، فضحكت وسألتها متي تحب أن تبدأ فقالت: أنا في الجامعة ، هل لديك متسع من الوقت؟ فسكت ،وبعدها قلت : نعم لديّ لكن سأستغرق حوالي ساعة أو أكثر حتى أبدل ثيابي وأصل إليكي ، فقالت: تمام أنا في انتظارك ،ولكن لا تتأخري وأغلقت معها وأنا سعيدة لأني سأخرج من الانغلاق والغيبوبة لمساعدة أحدهم ،وقمت بتغيير ملابسي وعمل وجبة إفطار متواضعه مع كوب من النسكافيه ،وحتى أستطيع أن أدخن قبل ذهابي لأنني لا أعتقد أن هناك مجالا للتدخين حين أقابل عاليا؛ فهي من عالم مختلف ممن يتحدثون العربية ،ويرتدون الزي الفضفاض المتواضع ،ولكن المشكلة أني لا أتذكر ملامح وجهها واعتمدت على أنها ستعرفني ،ففي الثلاث مرات التي تقابلنا فيها بالجامعة لم أركز في ملامح وجهها، وكنت أتجنب عمل اتصال معها بالعين حتى لا يرى غيرى ما بداخلى من حزن وحيرة ،وحين وصلت وجدتها تتصل ،وتقول: حضرتك تأخرتي ،وأنا سوف أرحل فسكت ثم قلت :كما تشائين ،ثم سألتني أين أنت الآن، فقلت عند الباب الرئيسي فضحكت وقالت :ولماذا لم تخبريني فلم أجب ،فقلت سوف آتي إليك ،وسألتني ممكن

نجلس بالسيارة حيث أن الشمس عمودية ودرجة الحرارة مرتفعة فلم أمانع.

حين أتت كانت ترتدي " تايير " جاكت روز وجيب بني اللون وحجاب روز ،ووجهها أحمر وعيناها مشرقة ،وقالت لي : ما شاء الله ما هذا الجمال، فضحكت وقلت : على فكرة أنا أغلقت معك ١٢:١٥م والآن الساعة ١:٣٠م .. أنا ملتزمة بمواعيدي ، فضحكت قائلة :فعلا دي مواعيد سياحية، وقالت :بصراحة لقد شعرت بالإحراج فلم أطلب المساعدة من أحد من قبل ،والأولاد بمفردهم في المنزل اليوم السبت إجازة من المدرسة، فقلت لها: لو الوقت غير مناسب يمكننا تحديد موعد آخر، فقالت: لا لكن لو ليس لديكي مانع، يمكنك أن تأتي معي للمنزل حتى لا أترك الأولاد :فينشغل بالي وفي نفس الوقت نجلس على راحتنا لكن لو لديك مانع ممكن أن نذهب إلى أي مكان نجلس فيه، فوافقت على عرضها وضحكت قائلة : أنا هخطفك، فنظرت لها مبتسمة قائلة بداخلي: من هيخطف من ، فبالرغم من فارق السن بيننا إلا أن براءتها تفوق براءة الأطفال فلا يوجد لديها أمراض قلبية أو نفسية ،ووافقت على الذهاب إلى منزلها حتى أنال انتباهها خلال الشرح ،وحين وصلنا بيتها ،وجدته مشرق منير من كل الاتجاهات دافئ.

قالت لي : أهلاً وسهلاً نورتي ، سأبدل ملابسي أولا ،ثم نشرب شيئا... ماذا تفضلين أن تشربي ؟ فقلت لها : لا شكراً ، وبدلت ثيابها ،وحين رأيتها وجدتها أصغر سناً كثيراً من الحجاب ،ووجدتها أكثر نعومة

،ولم أرد النظر إليها كثيراً فركزت في الشرح ،ولم أتطرق للنظر إليها ،ثم أتت ابنتها الصغرى جنة، ظلت تتمسح فيها كالقط الوليد الناعم، تقبلها في وجهها ،فنظرت إليها نظرة عميقة متمنية لو أني في مكان تلك الفتاة... قمت لصلاة العصر، ثم رحلت من عندها على المغرب ،لم أكن أريد المغادرة وكنت أتمنى أن يطول الوقت، فالراحة التي شعرت بها هناك لم أشعر بها منذ فترة طويلة جداً ،ولم يكن يؤرق هذه الراحة سوى حاجتي للتدخين ،وحين أوصلتني لمترو الأنفاق، قالت لي : شكراً أنا لا أعرف كيف أعبر لك عن امتناني.

عدت للمنزل وأنا سعيدة، نمت نوما هادئا عميقا بدون كوابيس، وتوالت المقابلات ،ثم توقفت بسبب إعيائها، كنت أريد أن أزورها ليس للشرح إنما للاطمئنان عليها ،ولكن لم أسألها ذلك ،فخشيت أن تتحول العلاقة من كونها زميلة دراسة إلى أي شيء آخر، حين تعافت ذهبت إليها سلمت عليّ، وقالت :وحشتيني، فنظرت إليها ،وابتسمت وسألتها عن صحتها وعما إذا كان لديها القدرة على الجلوس لاستكمال المذاكرة فقالت :آه طبعاً.

كنت أكتب حين وضعت يدها بجوار يدي فسمعت نبضات قلبي العالية ،فبعدت يدي ،وقلت لها ممكن أشرب كابتشينو ؛فقد شعرت بحاجة ماسة للتدخين ؛فقالت :آه طبعاً لكن ممكن نتناول الغداء أولاً ، فقلت : لا أنا لا أشعر بالجوع ، فقالت لي : لكني أشعر بجوع شديد ،ويتوجب عليّ أن آخذ الدواء بعد الأكل ،ولن آكل بمفردي، فوافقت

،وقالت لي : أنا اللي عامله الأكل وده مبيحصلش كتير ، وكان الأكل رائعا حتى أنى نسيت أنني في بيت شخص غريب ،وأنني لا أذهب لأشخاص خارج العائلة بالإضافة إلى تناول الأكل من صنع غريب.

لا أنكر أنني شعرت بالاختراق خصوصاً حين سألتني عن حياتي في السنة الماضية مع الأحوال السياسية المضطربة للبلاد ،والتي لم تشكل مشكلة مادية لي، ولكن المشكلة كلها كانت تكمن في قلبي، فلم أجب ،وحين قالت لي :إن والدة زوجها توفيت السنة الماضية في رمضان، فتذكرت جدتي ،وامتلأت عيناي بالدموع ،فربتت على كتفي،

قلت لها : أنا أيضاً جدتي توفيت ، ثم سألتني عن صديقتي التي رأتني معها في الجامعة - والتي كانت سهام- فقلت لها : لا أعرف عنها شيء ؛ فاستغربت ،فقلت لها : اختارت ألا تعرفني، فقالت لي مسرعة: إنها لا تشبهك مطلقاً , وحين سألتها عن معني كلامها ،قالت :لم أقصد شيئا، و هل هي سبب هذا الحزن الذي يملؤك ،فأصبحت أحارب دموعي حتى لا تخونني ،فقلت لها ، أصلها كانت تشبه خالتي التي فقدتها في الصغر وتعلقت بها كثيراً ،وبالرغم من عدم تشبهنا وأشياء أخرى لكنني كنت أجد في شبهها تعويضا يشبع حنيني إلى خالتي ،فقد كانت خالتي أمي التى ربتنى، فقالت مبتسمة ، لكني سمعتك تتحدثين مع والدتك في السيارة لتقص عليكي حلم ، فضحكت قائلة : أمي الحقيقية -ربنا يخليها- لكنها فى مكانة ابنتى، لأنها تعتبرني والدتها، فقد فقدت أمها وهي طفلة ذات ثلاث سنوات، وهي دوماً تشعر باليتم في

غيابي، وحتى وإن تعديت حدودي قليلاً فهذا يشبع لديها إحساس الأمومة التي تفتقده ، فوجدت عيون عاليا تملؤها الدموع ،ووجهها شديد الاحمرار.

فقلت لها:

آسفة .. هل أنت مستاءة من الحديث .

قالت لي:

أبداً بالعكس، وسألتني :طيب ولو شفتي حد شبه خالتك تاني هتحبيه .

فقلت سريعاً :

لا بالطبع ، ولو خالتي أعادها الله الحياة لن أحبها هكذا .

نظرت لي نظرة لم أفهمها غير لاحقاً، ونحن في السيارة في طريقنا لمترو الأنفاق وضعت يدها على جانبي قائلة :شكراً لكني شعرت بروحي تؤخذ مني ،فابتعدت لأخبرها أنني أستمتع بالاستذكار متمنية لها الاستفادة، اتصلت بي في وقت متأخر من الليل لأول مرة فرددت

قلت لها : هل أنت بخير.

قالت لي: لا .

فسألتها : لماذا؟ .

فسكتت لبرهة ،ثم سردت :حاسة أني أعرفك من زمان، ضعتي مني ولقيتك تاني، معرفش إزاي...كان نفسي أحضنك أوي النهاردة وأنت عندي، لكن أنت بعدتي ،و عايزة تبعدي أكثر، مش عارفة إزاي أكون بحبك كده وأنت بتعامليني كده!

فقلت لها : عاليا ممكن نتكلم في الصبح، أنا تعبانة أوي ومش قادرة أفكر أو أستقبل حاجة .

فقالت : حاضر بصوت مخنوق.

شعرت بعد المكالمة بالخوف والاختناق ،وقررت ألا أذهب هناك مجدداً ،وألا أراها ولا أعلم ما بال الشرح والامتحان ،لم يسبق لي أن تخليت عن أحدهم، لكني لا أريد أن أجد من يخترقني أو يتقرب مني، فلم أخرج مما أنا فيه لأضع نفسي في دوامة أخرى خصوصاً أنها ناعمة وبريئة، نظراتها طفولية أستطيع أن أرى فى عينيها كل ما تريد أن تقول أو تشعر به، لكني ربما أريد أن أرى ما ليس حقيقيا، ولكن هذا ما أراه ،والله أعلم ما خفي كان أعظم، فقد خدعت في كل من عرفت، وأحببت وقررت ألا يحدث هذا مرة أخرى، أستطيع العيش بدون حب وأيضا بدون أصدقاء.

لم تتصل في الصباح ،ثم اتصلت في المساء ،فرددت عليها وأنا سعيدة لأنها اتصلت، قالت لي :عاملة إيه أنا بس حبيت أطمن عليكي.

كان صوتها مجهدا، فسألتها عن حالها فقالت :الحمد لله ،ثم قالت: وحشتيني، فشعرت بروحي تؤخذ مني بعيداً ،ثم قالت :وحشتيني أوي ،فشعرت بروحي ترد إلى مرة أخرى .

قلت لها :ربنا يخليكي, سألتني عما إذا كنت متفرغة غداً لنلتقي فقلت بلهفة :الساعة كام؟.

قالت : في الصباح ، الأولاد هيكونوا في المدرسة ،ويمكننا الاستذكار في هدوء.

قلت لها : حاضر.. تصبحي على خير.

فردت :لا تتأخري.

حين وصلت إليها كانت قد تحممت ،وشعرها مبلل ووجهها أحمر وبريء سلمت عليّ واحتضنتني وضمتني بقوة.

فشعرت وكأني ألملم أشلائي المبعثرة ،وأتذكر آخر مرة شعرت هذا الشعور قد يرجع إليّ حين كانت خالتي على قيد الحياة ،ولكنني كنت أنا من يضمها هكذا حين أراها, وتحتضنني هكذا عند النوم،وقد كنت طوال عمرى أتجنب أى اتصال جسدى أو تواصل بالعيون حتى لا أسمح لأحد أن يخترق قلبي بهذه الطريقة ،أو يجعلني أشعر بما يضطرنى الاقتراب من أحد، فقد أجدت حفظ مشاعرى جيدا وتقييدها ببناء أسوار عالية حول نفسى، ربما كنت أنتظر من يبالى

لدرجة أنه سيحطم هذه الأسوار ،ويبحث عن مفاتيح ليفتح أقفال هذه القيود. وكالعادة حاولت مقاومة هذه المشاعر ،ولكن وجدتني أغرق في داخل حضنها . فخرجت منه على استحياء وأصبحت مشاعرى تندفع كالمياه فى مجرى ضيق ملىء بالصخور.

أطالت الحضن إلى أن قلت لها :نعيماً.

سألتني : هتشربي شاي .

قلت لها : يا ريت .

أعدت فطورا وشايا باللبن كان شهيا دافئا...بدأنا المذاكرة. وضعت يداها على يدي شعرت بالأمان ،ولكني بعدتها ،ثم قالت لي : ممكن أحضنك ؟

نظرت لها فضمتني إليها .

قالت في أذني : منذ أن رأيتك ،وأتيت معي للمنزل ،وأنا أشعر بأني أنجبتك لا أعرف متى. ثم فقدتك ولكن الله أنعم عليّ وأعادك إليّ فلا تعرفي كم أنا مفتقداكي جداً.

قلت لها : عاليا ، أنا خايفة أتعلق بيكي ،ثم أجد نفسي في الهاوية مرة أخرى أنا جُرِحتُ من كل من عرفتهم ،ولم أعد أشعر الأمان. ولا أثق حتى بنفسي ،فذكور وإناث قد خيبوا ظني ،وضيعوا أملي وأنا مدمرة لدرجة إنى لا أستطيع أن أقاوم حبك ،فقالت لي : والله إني أحبك في

الله ،ولن أخيب ظنك أو أجرحك ما حييت، وسأكون بجانبك حتى أقابل وجه كريم ، فقلت لها : أنت عندك من الأولاد ما شاء الله أربعة ولا تريدين زيادة حمل ،فأنت بالفعل مشغولة ولا تجدين الوقت لنفسك .

وضعت أصبعها على فمي وقالت : أنا الآن عندي خمسة ،وهم كلهم مسئولون مني ،ولن أتخلى عن أحدهم ولو هموت، بكيت وظللت بحضنها ، قالت لي: كنت مريضة مرضا عضالا منذ فترة ،و دعيت ربنا أن يعطيني العمر لأرى ابنتي الصغرى في سنك ثم قابلتك .

ضممتها ولأول مرة أضمها :فشعرت كما لو كنت تائهة شاردة ثم اهتديت السبيل...امتلأت عيناي بالدموع ،وهي تمسح بيدها على شعري ، تقول لي : لا تحملي هم أي شيء من دلوقتي لحد ما أموت، وضعت يدي على فمها وقبلتها.

قالت لي : كلنا هنموت ، والمهم أن نموت ونحن نحب بعضنا بعضا، ولو أحدنا استبق الآخر سيكون مخلصا لذكراه ويصل رحمه ، أليس كذلك؟

نظرت إليها ثم أغمضت عيني : عاليا أنا لا أريد أن أرهقك ،ولكني لم أعد أعرف نفسي ،وقد توقفت عن عمل شيء مفيد أو جيد منذ فترة طويلة ،والآن أنا شخص لا أعرفه وأنت من عالم مختلف .

قالت لي : سأتفهم كل شيء، ولن أجبرك على ترك أي شيء ، المهم أن يكون بيسعدك ،وإذا كنت تتكلمين عن الحريات الشخصية فلا علاقة لي بها المهم عندي أن نتفاهم بلغة واضحة ،فاللغة العربية عندك ركيكة حتى مخارج الحروف ،والنطق غير صحيحة لذا اعتقدتك مش مصرية أول مرة قابلتك فيها .

شردت و أنا أتذكر سهام فأخبرتني أني أول مرة تقابلنا عرضت عليها أن أساعدها فى امتحان اللغة الإنجليزية في مقابل أن تعلمني هي قراءة القرآن قراءة صحيحة ،وأنا أعلمها قراءة الإنجليزية بطريقة سهلة ، و بعد فترة أعطتني كتبا عن الصحابة باللغة الإنجليزية ،وعرفت أنها حافظة للقرآن الكريم ومعها إجازة تعليمه....

كان قلبي كله معها لكن عقلي والهواجس تخبرني أن هناك شيئا خطأ سيحدث ما الذي يجعل سيدة في مكانتها ومسئوليتها تساعدني متخطية كل هذه الفوارق الجذرية بيننا، ومبررها الوحيد أنها شعرت إنها في مقام أمي أو أنها بالفعل أمي مع أن فارق العمر بيننا ليس كبير ولا يزيد عن عشر سنوات.

كنا نتقابل يوميا على مدار شهرين ،ثم سافر زوجها إلى الصين فدعتني أن أقيم معها حتى يرجع فأخبرتهم في المنزل أن لديّ رحلة عمل ، وبالفعل ذهبت ...كنت أشعر حينها بالطمأنينة وبأني أولد من جديد ،كانت المشكلة الوحيدة لديّ هي التدخين، فلا أعرف كيف أخبرها ،ولا أستطيع النوم دون التدخين ،ولا أستيقظ جيداً إلا حين أدخن ،ولا

أستمتع بالوجبة إلا عندما أدخن بعدها ،ولا أستمتع بالموسيقى إلا حين أدخن ،فكنت قد اعتدت أن أشرب عندها مشروبات بها نسبة كافيين مرتفعة كثيراً لأعوض النيكوتين الذي تعودت عليه ،وكان التدخين هو المنغص الوحيد لسعادتي ومدى الدفء لوجودي في بيتها ،والذي شعرت فيه بالانتماء وسط أولادها الذين كنت أرى الغيرة في أعينهم مع كثير من التساؤلات ،فكانت تتراوح أعمارهم ما بين ست وستة عشر عاما ..كان عبد الرحمن الأكبر يتجنبني تماماً ، وحين كانت تسأله عاليا أن يلقي عليّ السلام يلقيه ويرحل.

والثاني عزيز وكان أشبه بأخلاق البنات الذين لم نعد نراهم إلا في مسلسلات الأبيض والأسود ،ولكنه كان كثير الشكوى مما يؤرقه في المدرسة وفي النادي وفي الأكل .. والثالثة هي سما وكانت مختلفة عن طباع عاليا ، وباقي الأولاد والرابعة المفضلة لديّها ،والأقرب إلى هى جنة وكانت تشبهني كثيراً في كل شيء عدا أن عاليا تجيد التعامل معها ، ومع متطلباتها وكانت شديدة الغيرة ، ولم ترهقني غيرتها لأني اعتدت على نفسي هكذا فكنت شديدة الغيرة على خالتي ، أمي ، جدتي، أصدقائي ،و حبيبي .. حتى أقاربي أشعر أن كل ما يحيط بي مميز ،ويجب أن يعامل بطريقة مميزة ولا أستطيع أن أدعي أي شيء يؤذيه.

في اليوم الأول مساء بعد أن نام الأولاد سألتني : أتشربين شيكولاتة ساخنة. قلت لها : يا ريت ، قالت لي: تعالي نشربها في التراس . وحين جلسنا وجدتها تعطيني علبة سجائر وقداحة ،وقالت لي : أعرف أنك

تدخنين ،ولا أريد شيئا أن يؤرقك، ولا أريد أن أقيدك، فنظرت لها وقلت : لا شكراً أنا بالفعل مدخنة ،ولكني لا أريد أن أدخن في بيتك حيث أن زوجك شخصياً لا يدخن ، فقالت لي :أخي يدخن وأعرف سيدات مجتمع مدخنات :لذا عرفت أنك مدخنة منذ أول يوم أتيت إلى هنا، فكنت دوما تشردين وأشعر بعصبيتك دون سبب ،وتستخدمين أصابعك بكثرة في أي شيء بسبب عادة استخدامه فى التدخين، فقلت لها : واو ، ما شاء الله ، على فكرة أنت أول شخص يخترقني هكذا، ويوجد أشخاص كثيرون ،وأقارب ،وأصدقاء على معرفة بي منذ سنين ولم يلاحظوا ، فقالت لي : هم بيتعاملوا عادي لكن أنا أعاملك بقلبي، وأشعر بكِ ،كانت مبتسمة ووجهها مضيء كالبدر في السماء.

عندما كان قلبي يطير من السعادة ،كان عقلي يبحث عن المتاعب عما وراء ذلك فيرفض التصديق على وجود بشر أشبه بالملائكة، يحبون ويعطون دون أغراض أو أهداف... قضينا الليلة مستيقظين وقصت لي قصتها منذ الطفولة إلى أن قابلتني فقد فقدت أمها............

كانت عاليا في الثالثة وكانت طفلة مشاغبة ، تبحث عن المتاعب وكان أبيها الشيخ - رحمه الله - قاسي الطبع فى تربية أبنائه إلا عليها؛ لأنها أصغر طفلة بين ٧ أخوات وقد فقدت الأم، ثم تزوج من سيدة جميلة من عائلة ذات أصول تركية قامت بتربيتهم تربية حازمة أيضا؛

ولأنها الصغرى فقد نالت القسط الأكبر من القسوة .وطول عمرها في المدرسة تحب وتتعلق بالنساء من المعلمات في المدرسة باحثة عن الحنان .وكلما انتقلت من مرحلة إلى أخرى تودع المدرسة .ولم تكن تلقي بالاً للبنات من عمرها ؛لأن لديها أخت في نفس عمرها تقريباً ولم تكن على وفاق ؛ وبسبب فقدان الحنان والأمومة كانت تستشعرهم في المعلمات ،ثم أتت إلى مصر بعد أن تمت الثانوية، وتزوجت لأنها تخشى من الفتنة في الجامعة لأنها لم تتعامل مع ذكور سوى إخوانها، وزوجا أختها ،وطلبت من والدها أن يزوجها ورفض في البداية ،ولكنه استجاب حين طلب أحد أصدقائه أن يزوج ابنه من إحدى بناته ،وبعد أن تزوجت أحبت زوجها ،وظنت أنه سيكون مصدر الحب والحنان الذي افتقدته طوال حياتها ؛ولكنه كان زوجا و رجل أعمال ، عملي جداً ، دقيق في حساباته جداً حتى في المشاعر التي تقتصر داخل غرفة النوم ، فرجعت مرة أخرى بشغفها القديم .. البحث عن الحنان في الأمهات ؛فتعلقت بأخت زوجها والتي استغلتها جيداً ، ثم ارتبطت بمدرستها في الجامعة ،ثم مشرفتها على رسالة الماجيستير التي إستغلتها أيضاً ،وجعلتها تقضي من عمرها ست سنوات على أمل الحصول على الدرجة في حين أن الدكتورة كانت تحصل على كل شيء قد تقدمه البنت لأمها من عاليا ،وكانت عاليا تقوم بالدفع فقط ثم سافرت هذه الدكتورة إلى مكان مجهول ولوقت غير معلوم وبدون وسيلة اتصال!!!!....

كانت قد عادت سيدة قريبة زوجة أبيها من الخارج ،واستقرت بمصر ،فارتبطت بها، وكانت هذه السيدة مختلفة ثم ،فقدت أباها والذي كان يمثل مثلها الأعلى في كيف يكون المسلم. وحين كانت تقص عليّ هذه الحكاية كانت الدموع تملأ عينيها ،ثم تجف ،ثم تضحك وحين انتهت قالت لي : بس الحمد لله ربنا عوضني بأولادي الخمسة ورؤيتي لهم بالدنيا.

وما كان يشغل بالي هل وجود الأولاد في حياة الأم يعوضها عن افتقادها هي نفسها للأم؟ ..وهل هذا قد يؤثر سلباً أو إيجاباً على تربيتها للأولاد واهتمامها بمتطلباتهم؟...

كنت دوماً أرى في عينيها شيئا لا أفهمه قد يكون اطمئنان لوجودي في حياتها ،وتتمنى أن أتقرب للأولاد حتى إذا فارقت هي الحياة كأمها يكون هناك مصدر آخر للحنان والأمان، ولم تر ذلك في كل من حولها حيث إنهم لا يصلحون ليكونوا مصدرا لهذا الشيء، وإلا كانوا عوضها في المقام الأول عندما افتقدته ،ولم تستشعر الحرمان طول فترة الطفولة القاسية، ولكن معدن الإنسان يصقل مع الشدائد مثل (طه حسين) و (العقاد) و (نجيب محفوظ) فالبرغم من طفولتهم القاسية إلا أنهم أصبحوا شخصيات تاريخية مشهورة ،وأعتقد أن عاليا يوماً ما ستكون شخصية يقص عنها التاريخ حكايات قد يكون من معظمها عن الأخلاق.

كانت بالرغم من أنها الأخت الصغرى والأصغر في العائلة إلا أنها مصدر لدعم كل من يحتاج الدعم المادي والمعنوي. لم أر أحدا يفعل الخير وينساه مثلها, تنزعج حين أسألها عما تفعله في السر فلا تخبرني, لكني كالعادة أستنتج كل الأحداث.

في اليوم الثاني في استراحتي عندها أصابها إعياء شديد, خطف قلبي عليها, كنت بدأت أشعر أنها استجابة دعوة جدتي لي في الدنيا، وإني إذا فقدتها لا أستطع تخيل الدنيا بدونها... بالرغم من أني لم أقضي معها الكثير من الوقت لكن حين أكون بجوارها أشعر بمنتهى الأمان والحماية ،ولأول مرة في عمري لا أقلق من الغد ،وماذا سيكون أو ما سيحدث..

ارتفعت حرارتها, جلست بجوارها ليلاً لعمل كمادات الثلج,كانت بحضني كطفل صغير بريء، ولا أعرف متى تسرب إلى قلبي كل هذا الحب !،ومتى تملكت قلبي هكذا ؟!..و دعيت ربي أن أمرض بدلاً منها، فكنت لا أطيق مرضها ،ولا أحتمل رؤيتها ضعيفة ،ووجودي مع أولادها خلال وجودها بالسرير جعل الثلج بيننا يذوب ،وبدلاً من أنهم كانوا يشعرون فقط بالغيرة من وجودي أصبحت حب وغيرة ونمنا كلنا في السرير الكبير بحجرتها ،وشعرت بسعادة غامرة ودفء لم أشعر به من قبل منذ صغري, هي أيضاً بالرغم من مرضها إلا إنها كانت سعيدة لذلك ومطمئنة ، حين استعادت صحتها قبلت جبيني ، وقالت لي أشكرك، فأخذت الكلمة على عاتقي ،وشعرت أنه ليس عليها أن

تشكرني ،ولكن وجودي هنا هو واجب حتمي تجاهها ،ومهما فعلت فلن أستطيع أن أعطيها ما يكفي إغداق حبها وحنانها علي... قضينا باقى الأيام نذهب إلى المتنزهات أثناء وجود الأولاد بالمدرسة ،ثم نتناول الغداء بالخارج أو مع الأولاد ونقضي جزءا من الليل نتطلع إلى السماء ،والآخر تجعلني أقص لها عن طفولتي...كلما قصصت عليها شيئا حزينا تحزن هي الأخرى وحين أسألها لماذا ؟ تجيبني بأنها لا تعرف لماذا؛ لكن لديها شعورا عميقا أنها كان يتوجب عليها التواجد معي لكي أكون سعيدة، وتمحو عني كل تلك الأحزان، أخبرتني أن من بين كل الشخصيات في حياتي تمنت لو أنها قد عرفت خالتي التي لها كل ذلك التأثير في شخصيتي رغم البيئة المحيطة بي والتي تراها غير صحية تماماً إلا إنني لم ألتقط منها سوى العناد والعصبية بالإضافة إلى المبالغة في حماية الكرامة, كل ما غير ذلك فإنها هبات من الله حافظت عليها وعادات اكتسبتها من خالتي وجدتي اللتين قامتا بحمايتي :فبدلا من السقوط في الهاوية بحثت عن الرقي والسمو في خيالي من خلال كتاباتي، ثم قيامي بدور المدافع والمسئول عن كل من عرفتهم حتى حين أحببت أحمد كنت أخطط له مستقبله وأدعمه, لكنه كان هو مصدر الحنان والإيمان بالنسبة لي, ما جعلني صامدة إلى الآن هو نوع من الإيمان العميق بداخلي، ربما لا تبدو ملامح الإيمان على مظهري من ملبس، طريقة تعامل مع الآخرين، و إبداء الاهتمام بهم, ربما عدم إظهاري لمظاهر الورع دليل على صدقه ، هذا الإيمان هو الذي كان ينتشلني دوماً من الهاوية واقترابي من هذه الهاوية سببها فقط البيئة

المحيطة، الأحداث المتكدسة, المعارف الكثيرة، مجال العمل المنفتح وفضولي الذي ليس له حد.

كل هذا جعلني أستعيد الثقة بنفسي, أستعيد الأمان, أثرى عقيدتى بفهم القرآن وحب الرسول (ص) الذي وعدني بالجنة حين رأيته في المنام.

لكن أصبحت ثقتى فى نفسى نابعة منها ومن دعمها, على الجانب الآخر جعلني أتشبث بها ،وإن كان هذا أسعدها في بداية الأمر إلا أنه مع عودة زوجها ورجوعها إلى حياة العائلة الكبيرة - ما شاء الله- تقلص الوقت الذي يمكن أن تقضيه معي خصوصاً أن كل من حولها سيعتبرني دخيلة، وكل من حولها لن يتنازل عما كان يحصل عليه من حقوق, مما أثقل كاهلها, كالعادة أصبحت سريعة الغضب، شديدة الغيرة بدأ الجزء السلبي في عقلي يعمل على معطيات جديدة وهي الانشغال عني, إنني مجرد عبء عليها لا تستطع تحمله أو إيجاد الوقت والأعصاب والمجهود والطاقة الكافية لتحتملني بكل مافيّ من تعقيدات ،بكل ما أرى من أشياء ليست موجودة، فكنا نتعارك صباحاً وعلى مدار اليوم ،ونتصالح قبل النوم فتقص عليّ قصصا جميلة حتى لا تأتيني كوابيس... التي أصبحت مع مرور الوقت أكثر إزعاجاً, تعدت أشباحي مرحلة الكوابيس أو مرحلة النوم لتتراءي لي أثناء استيقاظي إلى أن وصلت لتجاذب أطراف الحديث, قد لا تكون تلك الأشباح جنا أو شياطين ،وإنما شخصيات علي قيد الحياة مثل سهام و خالد

وأخرى قد فارقت الحياة مثل خالتي أو جدتي, مما جعلها تشك بالأمر ،وأن هناك تدخل من قبل مشعوذين أو عرافيين، لكنها رفضت تسميتهم شيوخ:لأنهم بسهولة تنازلوا عن دينهم مقابل ما يفعلونه...بالفعل مررنا بمرحلة صعبة للغاية, كان عليّ الالتزام بالصلاة، وكان هذا صعب وثقيل ومتعب في بادئ الأمر ،ثم مع مرور الوقت أصبح أيسر ،ولكن ليس سهلا ،ثم قراءة (وِرد) أي جزء من القرآن بصفة يومية مع الأذكار ،وكلما تعمقت في ذلك كلما ازداد إعيائي العقلي أكثر من البدني، والذي كان يؤلمني كثيراً ،ولأتأكد من الأمر ذهبت إلى المشيخة - مشيخة الأزهر- لأسأل فسألني الشيخ هناك عن بعض الأمور، وحين أجبته قال: لي إن هناك أذى، ولكن إذا داومتي على قراءة سورة البقرة مع الأذكار ستكونين بخير مع الوقت، ولكن الأهم من كل هذا هو قوة الاعتقاد في مفعول وتأثير ما أقرأ من آيات وأذكار و رُقيات ،ولقد ساعدتني عاليا في الأول في قراءة كل هذا لي بصوت مرتفع؛ ولكني حين أتقنت النطق ،واستشعرت القوة من نفسي بمساعدة الخالق ، أصبحت أقرأهم لنفسي ،ولكن أصبح لديّ هاجس عمن يريد أن يؤذيني ،وعمن قد آذاني بالفعل ،ووجدت مؤخراً أن قراءة سورة البقرة بشكل دوريّ كل ثلاثة أيام يشعرني بالطمأنينة وينوء بي بعيداً عن كل هذا.

وفي هذه الفترة لا أعرف كيف احتملتني عاليا من مزاجية وشك وعصبية وصوت مرتفع ،وما كانت أمي لتحتملني وتحتمل غيرتي حتى من القراءة ولكن بمرور الوقت (أي بعد مرور عامين) عدت أخيراً

لرسالة الماجيستير والكتابة ،فكتبت ديوان شِعر، وألفت قصة ،ووعدتني أن تتكفل بعناء نشرهم حين أناقش الماجيستير كمكافأة، ولكني لم أجد د/ رغدة مُرحبة بعودتي ،ولكنها فقط تضع لي العراقيل والعثرات في طريقي ،ومع كل مقابلة أتراجع ،وأريد الانسحاب أجد عاليا في ظهري تدعمني وتحبني ،وأصبحت تجيد التعامل مع ردود أفعالي وغيرتي :والتي أصبحت مع الوقت بالكاد موجودة بالمقارنة عما كانت عليه ،واستطعت أن أتخلص من عادة التدخين ،ولا أصدق كيف قد مرت سنة ولم أدخن حتى حين تواجدي مع المدخنين في مكان واحد ،ثم أصبحت رائحة الدخان تقلق راحتي (سبحان الله)...

عدت ذات يوم من المكتبة لأتناول الغداء مع عاليا فوجدتها تقول لي : اليوم سأعرفك على أخي ، وهو يعيش في بلد عربي ويريد أن يفتح شركة ،ولن أجد أحدا غيرك يمكنني الثقة به لأرشحه، وحينها شعرت أني أولد للمرة العشرين مع عاليا ، فكم جعلتني أحمد الله لأنه يحبني ،وأرسل لي من يحبني ،ويعوضني عن كل ما عانيته ،وعرفت أن لا شيء يضيع سدىً ،وقالت لي : إن العمل الفعلي سيبدأ حين أناقش الماجيستير ؛ أي بعد ستة أشهر، وحمدت الله فلقد كانت عاليا هي من يتكفل بمصاريفي كل المدة المنصرمة :لأنني فقدت عملي والأحوال السياسية والاقتصادية للبلاد حالت بيني وبين أن أجد فرصة عمل أخرى بالإضافة إلى الانهيار النفسي والملابسات الأخرى التي لم تجعلني مؤهلة لأي شيء خصوصاً مع وجود كرامتي فوق رأسي، أفقدتني كثيرا من الفرص ولكنها لم تبال ، فكرامتي منعتني من طلب المساعدة من

والدي والوحيدة التي كان من الممكن أن أطلب منها مساعدة مادية هي جدتي - رحمها الله -.

في يوم كنت في المكتبة ،و رأيت "سهام" فوجدت ضربات قلبي ستخترق ضلوعي ،وتظهر ذبذباتها من فوق ملابسي، وإذا بها تتجاهل وجودي ،وكل من بالمكان ينظر إليّ ،ويتساءل عما حدث ،وكيف صارت الأمور إلى ذلك الحد؟!.. فاتصلت بـ عاليا ،وأنا منهارة فأتت إلى المكتبة وقد كان لديها مقابلة مع المشرف على الدكتوراه، واعتذرت لتسرع إليّ ،وحين رأتني ركضت نحوها احتضنتني بشدة، وقالت لي : يعني قدرتي تطردي الجن والهواجس من محاصرتك، مش هتقدري تطرديها من جواكي، تذكرت حينها أني قد نسيت أن أحضر حقيبتي وأوارقي ،فقالت لي : هيا عودي وأحضري أشياءك ،وأنا سأنتظرك هنا.

فرجعت مرة أخرى كانت أخذت نظارتي و تنظر لي من تحتها, لا أعرف لماذا كانت ترتديها بالمكتبة حتى لا تجعل أحدا يرى أين تذهب نظراتها...رحلت مع عاليا التي أخذتني إلى مكان اعتدت قضاء وقت طويل فيه بصحبة سهام، وقالت عاليا لي : كل شيء يحدث لسبب وإن لم ندركه ، فهناك الله الخالق القدير الذي يجري كل مجريات شئوننا ،وكوننا نلتقي بأناس كثيرين، وإن لم يكونوا نافعين لنا فيكفينا أننا نحن كنا نافعين لهم أو مفيدين بشكل ما في حياتهم ولو بكلمة طيبة ،ولو بمسح دمعة من عيونهم ولو أضحكناهم ضحكة أو أخبرناهم معلومة أو خبر قد يغير مجرى حياتهم دون أن ندري.

حينها تذكرت شكل "سهام" هذه المرة لم يكن كالسابق. فأصبحت تشبهني أكثر، إلا في سحرها وشعرها الناعم المتطاير لكنها تضع نظارة قراءة تحت نظارة الشمس ،واتخذ مظهرها المظهر الجاد كمحاضرة في الجامعة وليس كالسابق ، وبالرغم من أن عاليا لم ترها إلا أنها قد أخبرتني بما لم أره حين رأيتها ،وكل ما شعرت به هو الألم والخيانة والإهانة والضعف والإنكار.

قالت لي عاليا : متى يتوجب عليك الذهاب؟ .

فقلت لها :يجب على قضاء وقتي كله فى المكتبة لأتم ما تبقى من عمل .

فقالت لي :إما أن أذهب معك أو تحضري أشياءك ولوازمك وتقضي الوقت عندي وسأغلق عليك المكتب ولن أزعجك.

قبلت يدها وقلت لها : شكراً يا أمي ، وكانت هذه أول مرة أقول لها يا أمي فامتلأت عيناها بالدموع وابتسمت ، ثم سألتني عما أخطط.

فقلت لها : سأذهب للمكتبة وأطلب منها ما أقرضتها من مال .

أجابت : هل تتوقعين أن ترد إليك المال؟!

فسكت ونظرت إليها فقالت لي : وإن يكن كفى أنك طلبتيه وحاولي أن تتجاهلي وجودها قدر المستطاع، وإن كان وجودها يصعب عليك التركيز اذهبي إلى أي مكان إن كان مكتبي لا يريحك.

حينها تحدثت مع نفسي عما سيكون حالي إن لم تجدني عاليا وإن لم أقابلها يوماً ، وكيف سيصبح حالي حينها ،وحمدت الله لأنه يحبني ،ولم يتركني حزينة أو وحيدة ،وقطعت عاليا الحديث، وقالت لي :أريدك أن تساعديني في وقت فراغك، وأن تأتي معي لدار النشر لأتحدث معهم في كيفية نشر كتاب لي ، فصرخت ،وقلت: Yes وقبلتها قائلة : هيا بنا الآن حتى لا نضيع وقت ، وسألتها متى ستنشر أشعارها ، فقالت لي : لا أعرف ، ثم شردت كثيراً .

قلت لها : إيه يا حبيبتي.. مالك؟!

قالت لي : أشعر أني أريد عمل الكثير وليس هناك وقت كافٍ لكل هذا ،وأشعر أني مقصرة ومذنبة لأني أكتم العلم ولا أخدمه جيداً كما أوصاني أبي .

وضعت يدي على يدها : إن شاء الله يا حياتي ستنجزين كل شيء ، المهم استمري ولا تيأسي.

ترددت بعد ذلك على المكتبة كثيراً ، ولكني لم أر "سهام" ثم اتصلت بها لأكسر هذا الحاجز النفسي لكنها لم تجب على اتصالاتي...

و اليوم هو اليوم الذي يسبق المناقشة ، أشعر أن قلبي سيتوقف عن النبض أو أن شيئا ما سيحدث حتى لا أستطيع أن أناقش رسالتي ، أشعر أني في حالة يرثى لها، واتصلت بي عاليا ،وقالت لي :حبيبتي تعالي وقضي اليوم برفقتي ،وفي الصباح عودي لمنزلك بدلي ثيابك

وخذي الرسالة ،وأنا سأسبقك إلى الجامعة لأشرف على تنظيم القاعة، وتوزيع النسخ على السادة المناقشين ، فقلت لها : لا، فأنا في مزاج سيئ للغاية، اتركيني الآن لأنه من الممكن أن أعاملك بعصبية، فقالت: وما الجديد في ذلك ؟ ، فاندهشت قائلة : نعم! ضحكت وقالت : لم أقصد شيئا يا حبيبتي ، إنها مجرد دعابة ، وحين ذهبت كانت مجهدة ومرهقة جداً من البرد ومن جرّاء الدواء ، تنام وهي جالسة تتحدث معي ،بل وتنام حتى ونحن نتناول الغداء ، وكلما التزمت الصمت تشعر أنها نامت فتستيقظ وتقول : ها ، كنا بنقول إيه؟ أنا معاكي، وكنت أضحك وأضمها إليّ فلم تسمح لي أن أقبلها، وهي مريضة ،ولكن قالت لي: أنها ستقبلني قبل المناقشة مباشرة.

حين ذهبت إلى القاعة وجدت كل عماتي وأولادهن وعمي خالد زوج عمتي المفضل لديّ ،والذي تمنيتُ أن يكون أبي ، ووجدت خالاتي وأولادهن، وكل أصدقائي منذ الثانوية ،وأصدقاء الجامعة ،ودكتورة مريم صديقتي منذ الحادثة ،ووجدت أحمد عبد الوهاب، ولم أكن أتوقع كل هؤلاء، فأنا لم أدع أحداً غير الأساتذة المعروفين حتى حجز القاعة قامت به عاليا . في بعض الأحيان كانت دموعي تخونني، وأنا أستشعر حب الله الذي رزقني به ، كل هؤلاء الأشخاص الذي يشعر معظمهم بالسعادة من أجلي ،وكان هناك أيضاً عاصم زوج عاليا وأولادها ،وكان عبد الرحمن- ما شاء الله – أصبح الآن رجل تتلهف عليه الكثير من الفتيات.

كانت المناقشة شرسة بعض الشيء من قبل الأساتذة ،ولكن كان يهدئني نظرة د/ رغدة ، فبالرغم من أنها كانت في غاية القسوة عليّ إلا أنها كانت تنظر إليّ بحب عميق وفخر كبير، وحين أنهيت المناقشة وأخذت الدرجة من رئيس المشرفين ،قامت أمي بـ(الزغرطة) وركضت نحوي هي وعليا ،واحتضنتهما وبكيت وبكت عاليا ، وسألتني أمي : لماذا تبكيان، ألا تعرفان كيف تشعران بالفرح فضحكنا ،ثم سلمت على كل الأساتذة ،وقبلت د/ رغدة ،وقلت لها بصوت تغمره السعادة : شكراً .

وحين أتى أحمد ليسلم عليّ نظر الكل نحوه ، فمازال جماله مشرقا يأخذ الأعين ،ولازالت عيناه لامعتين كضوء القمر ومعه طفل ممسك ببنطاله كان يأخذ الروح والعقل، فحملته وقلت له : ما اسمه؟ قال: هاني ؛ فضممته إلى صدري وشعرت بشعور لأول مرة أشعر به ،وظل هاني يصدر أصوات الأطفال الجميلة ،ويضع يده الصغيرة على وجهي وفمي فأقبله .. وسألت أحمد كيف أتي وكيف علم بالأمر؟! ، قال: إنه اتصل ذات يوم، وردت عليه عاليا ،وطلبت منه ألا يتصل مجدداً حتى لا أتعلق به مجدداً وأتعذب ،ثم اتصلت به وأخبرته بميعاد المناقشة وطلبت منه المجيء وأحضر معه هدية جميلة عبارة عن فتى وفتاة يجلسان فوق أريكة تهتز وتصدر موسيق.)

حددت موعد لمقابلة م/ صلاح درغام أخو عاليا لنتفق على كل شيء، ووجدت كل الخطوات الصعبة ميسرة ،فعرفت أن الله راض عني، وبالفعل تم إنشاء الشركة بمشاركة م/ صلاح و أ/ عاصم زوج

عاليا ،وكنت مشاركة بالثلث :وهو المجهود ،وسافرت كل البلاد التي كنت أحلم أن أذهب إليها .. الهند ، ماليزيا ، تايلاند ، الصين وكل هذا كان لتوسيع آفاق الشركة ،وبدء العمل بشكل معقول ،وحلمت بفروع للشركة في أماكن عدة في جميع أنحاء العالم.

وحين عدت و في المطار رأيت "سهام" تنتظر عملاء فى الصالة، فنظرت لي ونظرت لها ،وذهبت إليها وسألتها عن أحوالها وأحوال أسرتها وكل شئ آخر، فردت باختصار ،وسألتني عن الماجيستير فأجبت: الحمد لله ناقشت الرسالة ،فأصابها الذهول ،وقالت : متى؟افقلت لها حين اتصلت بكِ ولم تجيبي علي، فتذكرت وندمت لأنها اعتقدت إني أطلبها لاسترداد المال الذي فقدت فيه الأمل في أن ترده لي يوماً ما لكن ربي قد عوضني بما هو أفضل .

ثم أخذت حقائبي وجريت نحو عاليا لكي أراها فلقد افتقدتها كثيراً، وافتقدت حضنها الدافئ كافتقادي للحياة بالرغم من وجودي في كل هذه الأماكن التي حلمت بها إلا إنني لم أستطع النوم يوماً دون التفكير بها والتحدث معها ورؤيتها عبر الإنترنت، قضيت معها يومين وعدت للمنزل وكنت قد افتقدتهم أيضاً ،وبكت أمي وهي في حضني لأنها افتقدتني كانت كالطفلة التي سافرت أمها وأخيراً عادت إليها، كانت تنظر إلى الحقائب لتعرف ماذا أحضرت لها ،وتتساءل هل نسيت شيئاً مما طلبته مني أم أني أحضرت كل شيء قد سألتني إياه . ووجدت اتصالا من أحمد أول ما قمت بفتح الموبايل، فرددت : أحمد ازيك ؟

فقال لي : ممكن أقابلك ؟! أنا محتاجلك أوي ، فقلت له : ممكن غداً فقد عدت للمنزل منذ برهة ولن أستطيع الخروج اليوم، فقال: الحمد لله على سلامتك، فلنتقابل غداً ظهراً في المكان الذي اعتدنا أن نتقابل فيه، أتذكرينه؟! فأجبت: نعم بالتأكيد.

وحين قابلته وجدته ليس أحمد الذي اعتدت عليه؛ فقد زاد وزنه و فقدت عيناه بريقها ،ولم يحلق ذقنه منذ شهور وتذكرت مظهره بعد الحادثة أثناء العمليات التي كنت أجريها، فسألته : من الذي توفي ؟! فقال لي : مفيش حد ، أنا مش مرتاح خالص ، بفكر في الطلاق وشغلي بيخسر لإني فقدت التركيز ، فأخذت نفسا عميقا، وسألته عن الأسباب ، فقال لي أسباب كثيرة منها أن زوجته لم تعد تحبه ولا تهتم به كالسابق ، كل اهتمامها بالأولاد والبيت ،وأصبح يشعر كالغريب حين يكون هاني ليس موجودا بالمنزل بل بالمدرسة أو بالنادي، فوضعت يدى على كتفه ،وقلت له : معلهش يا حبيبي كل الرجال يشعرون هكذا بعد الزواج وبعد الإنجاب ، وممكن تكون أنت السبب الرئيسي لأنك قلت أنها لم تعد تحبك ،ولم تقل لم أعد أحبها ، فنظر لي غاضباً وعلت نبرة صوته قائلاً : هَنا ، فقلت له : الله ، لا يوجد أحد ينطق اسمي مثلك حتى وأنت غاضب أستشعر الهنا في اسمي ، فضحك. وضعت يدي على يده ،وقلت له : يمكن شعرت هي عدم حبك؛ فشعرت بالملل من كثرة حبها لك ،ولا يوجد أي صدى أو مقابل لهذا الحب ، وأضفت : سيبب الموضوع ده عليا ، وأنا هحله عشان خاطر هاني ، فنظر لي بذهول ،وقال : كيف؟ ! قلت له: لا تحمل هم ؛ فابتسم وقال لي: أنت

الوحيدة التي تشعرني أني طفل ونفسي أروح في حضنها . وأنت الوحيدة اللي ممكن أحتاج لها، وحمدت ربنا أن عاليا اتصلت بي كان صوتها عاليا جداً ،وقالت : إيه يا ست هانم وصلة الحب مخلصتش . يا رب نخلص عايزاكي تعدي على المطبعة عشان تخلصي هناك شوية حاجات . فقلت لها : الرسالة بتاعتك؟ قالت : أيوه والكتاب بتاعي والقصة بتاعت حضرتك ، عايزاكي تشوفيها الأول ، فصرخت وقلت " Yes ": وقبلت أحمد على وجنته ، فصرخت عاليا : أنت بتهبي إيه ؟ فقلت لها : لا أبداً أنا خلاص ماشية أهو ، وأغلقت الخط، ثم نظرت لأحمد، وقلت له : آسفة رد فعل مبالغ فيه ، فضحك وقال لي : لو اتصلت منذ التقينا كان الموضوع انتهي ، فقلت له :سوف تأتي معي أم لا ، قال : أكيد أريد أن أرى كل شيء.

كان يوم مناقشة عاليا ، وكانت الفرحة تغمرني لسعادتها ولفخري بها وفرحة الأولاد وعاصم ، فأصبح يعتبرني هو الآخر ابنته الخامسة برغم غيرته على عاليا إلا أنه حين تأكد أنى شر لابد منه ، تقبل الأمر الواقع ،ومع الوقت أصبحت بيننا علاقة حب أسري ،كان دوماً ينصحني كيف أتصرف ،وكيف أتعامل مع الناس ،ودوماً كان يتفحص تأميني في أي مكان أكون فيه خارج المنزل لكن غيرتي على عاليا كانت أكبر قليلاً من فرحتي بها :فكنت أريد أن أخطفها ونذهب لأي مكان لأعبر لها عن مدى سعادتي ولأشعر بفرحتها بمفردي دون شركاء وهم كثيرون ما شاء الله.

ولكن بعدها مرض أبي مرضاً شديداً ، وأمضينا شهورا في حالة مزرية بسبب عناده ورفضه الامتناع عن التدخين أو الامتناع عن الذهاب إلى المقهى لرؤية أصحابه .وبالرغم من موت أصدقاء له بسبب التدخين حتى أبيه فقده لنفس السبب إلا أنه مؤمن أن الأعمار بيد الله ، وليس للتدخين شأن بذلك ، وبعد صراع مع المرض صعدت روحه للرفيق الأعلى .وبعدها شعرت أمي بالضعف الشديد والوهن فلم تكن مؤمنة بالدرجة التي تجعلها تتقبل الأمور .وانتقلنا من المنزل لمنزل آخر حتى تتحسن حالتها ، ولكن ذلك لم يجد نفعاً فذهبت واعتمرت ببيت الله، وحين عادت كانت قد تحسنت قليلاً والحمد لله .وامتناعها عن التدخين خلال العمرة جعلها تقلع عن التدخين بسهولة .وبعد فترة تزوج أخي .وأقام بمنزلنا القديم .وأخذتها وسافرنا لمدة أسبوعين حتى تشعر أنها بخير .وعندما عدنا أصبحت أكثر انشغالاً بها ، وأصبح عملي من المنزل أكثر من أي شيء آخر حتى لا تشعر بالوحدة.

اتصل بي أحمد ليخبرني أنه قد عاد من تركيا .ويشكرني على هذا الوقت الذي رتبت له أن يقضيه مع زوجته وابنه حتى تعود المياه إلى مجاريها، وقال :إنه لو كان يحبني من قبل بقلبه فإنه الآن يحبني بكل كيانه .ثم سألني عن سبب الحزن في صوتي :فأخبرته أن أبي قد توفى وأمي ليست على ما يرام .وأخشى أن أفقدها هي الأخرى ، فحاول أن يطمئنني :ولكني لم أطمئن بل سلمت أمري لوجه الله .ورضيت بقدره وحكمه النافذ، واستمريت بالعمل لكن توجب وجودي خارج المنزل

كثيراً ؛ففكرت عاليا أن تجعل أمي تدير الجمعية الخيرية بدلاً عنها، ونتفرغ لما كان قد فاتنا بسبب مكوثي في المنزل لفترة طويلة وحين أخبرت أمي فرحت كثيراً ،ولكنها قالت: أنها تريد أن تبني داراً لكبار السن لرعايتهم فوافقت عاليا وشاركتها ليكون المكان لائق المستوى وبالفعل تبدل حالها (سبحان الله) فعمل الخير ينير الدروب وينير القلوب.

ثم قدمت أوراقي لأنال درجة الدكتوراة ،وهناك في الجامعة قابلت الدكتورة/ رغدة كانت قد نالت ترقية ،وأصبحت نائب العميد ،وسألتني عما إذا كانت ستشرف على رسالتي فوافقت ، فقد أتقنت التعامل معها، وأقنعتني عاليا بكتابة قصة عن تجربتي مع الأصدقاء لتكون خبرة مدونة ودرس يأخذه الآخرون ،ويتجنبوا الوقوع فيه أو الانكسار جراء الاصطدام بمثل هذه النماذج ،كانت مقتنعه أن المكتوب مكتوب لا يوجد مهرب منه أو منفذ ،ولن يقل وطأته وتأثيره إلا بالدعاء

اليوم هو حفل تخرج عبد الرحمن ابن عاليا ،والذي أشعر أنه أخي وابني في ذات الوقت ، فقد شاركت في تربيته ولو لبعض من الوقت، وأصبح مهندس كمبيوتر ،ورتبت له ليكمل دراسته في ماليزيا ،وعدت للمنزل أنا وأمي وآية زوجة أخي مدحت التي كانت على وشك الولادة وكان مدحت معظم وقته في المصنع الذي امتلكه بعد أن كان يعمل فيه لمدة عشر أعوام ،وإذا بالموبايل يرن ونظرت فيه ، وجدت خمس

وعشرين مكالمة مفقودة فاتصلت بالرقم فوجدتها والدة أحمد عبد الوهاب تبكي وتقول لي : هَنا ، أنا في مستشفى العجوزة ، تعالي دلوقتي ، وأغلقت وشعرت بقلبي يسقط تحت قدميّ ولا أجد ما أرتديه، وقالت لي أمي : لا تقودي السيارة وأنت في هذه الحالة ، واتصلت بعليا وأنا في الطريق رد عليّ عاصم ،فقلت له :أنا ذاهبة لمستشفى العجوزة في حالة طوارئ ، فقال لي : سنقابلك هناك وحين وصلت وجدت والدة أحمد وأخيه ، وكانت تضع يدها على رأسها وأخذ أخيه يدي ،وأدخلني لغرفة وجدت فيها شخصا مغطى بشراشف بيضاء مخضبة باللون الأحمر ،ووقف خلفي ليسند ظهري ،ورفعت الغطاء رأيت وجه أحمد نائما مبتسما وبجواره زوجته ،وكأنها تحتضنه ولم أنطق ببنت شفه، فقط قبلت جبينه ووضعت يدي على قلبه لأتأكد أنه لا ينبض وقبلت قلبه وقمت بتغطيته مرة أخرى واستندت على أخيه وحين خطوت بقدمي خارج الغرفة فقدت الوعي ،ولم أشعر غير بنور في عينيّ وبصوت عاليا في أذني : يلا يا حبيبتي قومي أنت وحشتيني ووحشتني عنيكي، وحين اتضحت الرؤية نظرت وجدتها بالغرفة ولم أجد أحد سواها فضغطت على يدها حين كانت تقبل يدي ؛فرفعت وجهها وإذا بعينيها حمراء ،ولكن وجهها مبتسم حين رأتني وقبلتني، وقالت : أنا اتعودت عليك صلبة لا يؤثر بك شئ، ثم سألتني : هل تستطيعين الوقوف ، فقلت لها : لا أعرف فأحضرت لي كرسيا مدولبا، وأخذتني إلى حجرة زجاجية بها ملاك نائم، وقالت لي :أنت عارفه ده مين ؟ ده هاني وهو بحالة جيدة الآن وقد تخطى مرحلة الخطر ، أكيد ربنا له حكمة في ده

، ولو كنت تزوجتي من أحمد لم تكوني لتقفي هنا الآن ولن تكوني موجودة لتعتني بابنه.

أتت أمي ترتدي الأسود ،وقالت لي :هنمشي إمتا، أنا مش مستحملة جو المستشفى ولم أرد عليها ، فأخذتها عاليا خارج الغرفة ولا أعرف كم من الوقت قضيت ،ولكن عرفت بعد ذلك أني قد قضيت أسبوعين تحت الصدمة ،أستفيق أحياناً وأنام معظم الوقت ،وبمساعدة المهدئات لم أكن أتألم وكنت مغيبة عن كل شيء تقريباً ،ولم أرد الخروج إلا حين قالت أمي يوماً : أنت عارفه مين عندنا في البيت؟ فنظرت إليها متسائلة فأجابتني : هاني وجدته ، وأنا مش عارفه أستنى هنا معاكي وأسيبهم في البيت لوحدهم ، هنروح إمتا ؟ فقلت لها : خلاص ، نمشي النهاردة.

وصلت المنزل وجدت والدة أحمد تبتسم في وجهي ،كانت سيدة قوية حقاً، وهاني نائم على ساقها ،عندما قبلته استيقظ مبتسماً ،وكانت عيناه تبحث في كل مكان عن أمه وأحمد ،ولكنه لم يكن يجيد الكلام حتى يسأل عن أي شيء ولكنه ظل مستاء كثيراً ، يبكي كثيراً وأحياناً ينام من كثرة البكاء ،وفي النهاية قلت له :إن أباه وأمه قد ذهبا في رحلة إلى القمر وحين يكبر سنذهب إليهم معاً ، ثم أتي ميعاد دخول المدرسة فقدمت له أوراقه في مدرسة جيدة بجوار منزلي، ثم نقلته إلى مدرسة أخرى بجوار منزل والدة أحمد " السيدة زبيدة " وكان يأتي في آخر كل أسبوع ليقضي يومين معي ،كنت أحياناً أجعل جنة ابنة عاليا

الصغرى تأتي في نفس الوقت حتى يؤنس أحدهما الآخر ويلعبا سوياً ، فهما في سن متقارب جداً.

وبعد عامين ناقشت الدكتوراة، فقد تعلمت الدرس هذه المرة وأخذت موضوعا محددا ذا نقاط محددة غير متشعبة ،وأنجزت العمل سريعاً ،وقد تغيَّرت نظرة الناس وتعاملهم معي بعدما أنهيت رسالة الدكتوراة، وعُرِض عليّ التدريس في إحدى الجامعات الخاصة وصممت عاليا أن أوافق فوافقت.

كان هاني يكبر أمام عيني ليكون أكثر شبهاً بأحمد ،وكنت أمرح وأفرح وأضحك معه ،وأشعر بنفس شعوري مع أحمد ،وهو شعور النقاء والطفولة ،وفي يوم كان عيد ميلاده، وأخذته لمحل اللعب ،وقد كان يريد لعبة بعينها وبحثنا كثيراً ،ثم وجدنا مركزا كبيرا لألعاب الأطفال، وحين ذهبت للمحل لأختار لعبته ،وذهبنا لندفع وجدت مالكة المكان تتحدث مع العمال بعجرفة نولكن الصوت جذب أذني فالتفت وإذا بها مروة، فقالت " هَنا ، مش معقول " ونظرت إلى هاني نظرة غير جيدة، وتتعجب من جماله وقالت له : أنت اسمك إيه يا حبيبي ؟ رد عليها : هاني ، وسألته عن اسم والده فقال لها : أحمد عبد الوهاب ، ففتحت فمها ،أخذت اللعبة دون أن أدفع وذهبنا ،وهي لا تزال واقفة، ولم أرد حتى أن أسألها عن حياتها ولا عن كيف حالها أو أخبارها ولا أعرف لماذا قابلتها ،وحين خرجت اتصلت بعليا ،وأخبرتها فظلت تضحك ضحكات عالية ،وقالت : سبحان الله ، يمهل ولا يهمل،

ولكنها لامتني أني لم أسأل عن أحوالها لأعرف ماذا فعلت الحياة بها لكني لم أهتم.

اليوم هو يوم عودة عبد الرحمن ومعه الماجيستير من ماليزيا ،وكنا كلنا في انتظاره بالمطار ،وحين خرج ارتفع صوتنا ،كنا نهتف باسمه ليرانا ،ونظر إلينا كل المسافرين والمنتظرين إلا هو فكان يضع سماعات الموبايل بأذنيه، لم يتغير رغم السفر والسنين، ولكن من ضمن الذين التفت نحونا كانت "سهام" ، كانت تنظر لي وكأنها لا تصدق أنها رأتني، وكان يبدو عليها السن بالرغم أن فارق السن بيننا ست سنوات فقط إلا أنها كانت تبدو أكبر مني بعشرين عاماً حتى مع ارتدائها لهذا الرداء من الفرو ،واهتمامها بتفاصيل ملابسها إلا أنها لم تستطع أن تشتري راحة البال التي أصابتها بالهم لتتمكن منها الشيخوخة ، سلمت عليها واحتضنتني بحرارة غير متبادلة ، ابتسمت لها فقط ،وعرفتها بعليا وقدمت لها هاني ، فقد كان معي هو أيضاً وسألتني : من هذا؟ روحه تشبه روحك كثيراً ، فقلت لها ، إنه

ابني ،قالت لي: إنها قرأت كل ما كتبت ،وكانت ترى نفسها في أشعار هجاء من أشعاري ،وفي شخصيات سيئة في قصصي ،وإنها تشعر بالأسى لأنها لم تقدرني حق قدري ،وأننا لم نكمل العمر سوياً ، فتنهدت تنهيدة عميقة ،ورأيت الغيرة في عينيّ عاليا لكني لم أستطع الانصراف في الحال دون أن تكمل كلامها ، فلقد كان كلامها نوعاً ما يجعلني أرى حكمة ربي في أني قابلتها ،ولم أكن أحمل أي سوء بداخلي،

ولكني فقط كنت أحبها ،وتأثرت سلباً بهذا الحب فأراد الله أن ينتشلني من دوامتها وجعل عاليا تأخذني بعيداً .. بعيداً عن كل أمراض النفوس والقلوب، وأعادتنى سهام من هذ التفكير العميق وهى راحلة، وتطلب منى رقم التليفون فأعطيتها بطاقتي التعريفيه (الكارت) وأخذت هاني من يده ،وذهبنا إلى عاليا فاحتضنتها بشدة ،وقلت لها: شكراً على كل شيء يا عمرى مهما عملت مش هقدر أوفيكى حقك، وكانت الدموع تنهال من عيني ،وظللت في حضنها حتى هدأت ومشينا.

اليوم عيد ميلاد عاليا ،وأريد أن أشتري لها شيئا قيما؛ فذهبت إلى جاليري لأحضر لها قطعة أنتيكة ،وكان هانى يهيم على وجهه في المكان مثل أبيه ،ثم سمعت صوت ينادي عليه ،وحين نظرت لمصدر الصوت فإذا به (خالد) وقف برهة ينظر إليّ ،ثم قال لي : هَنا، كيف حالك .. المكان يشع نوراً بسبب وجودك به ، فقلت له ": أهنئك ، لقد حققت حلمك ، وقال لي : يبدو عليكِ أنك وصلت لكل أحلامك، فقلت بابتسامة واثقة :أكيد، ثم ناديت على هاني ،واستأذنت منهم وقبل أن أرحل وجدت تقى تدخل من الباب ،وسلمت على بحرارة ،وهى تعتب عليَّ فى كثرة ترحالى وانشغالى حتى عن أصحابى القدامى ،ثم سألتنى أن أجلس معهم لنتبادل أطراف الحديث، فقلت لهم :إن عندى مواعيد ، وأخذت هاني وذهبنا لزيارة جدة هاني، وقضينا الليلة عنده ،وفى المساء نمت بغرفة أحمد ،وكنت أكلم أحمد ،وكنت أعرف أنه يسمعني ،وأبكي أحياناً حتى غلبنى النوم، واستيقظت فى الصباح كان نائما ويخبئ رأسه فى حضنى.

تمر الأيام مسرعة بنا ، وأتي يوم عيد ميلاد والدتي ، إنه عيدها الخامس والستون ،وقمت بدعوة كلتا العائلتين ، عائلة أبي وعائلتها، وحضر الجميع ،وكذلك عاليا ،وأولادها وهاني وجدته وأخو أحمد، وكانت أمي سعيدة للغاية ،وارتدت فستانا جديدا لونه أبيض (وهو لونها المفضل) وكانت تبدو كالملاك ،وبعد أن انصرف المدعوون، قالت لي : تعالي نامي جنبي النهاردة ، وقلت لها : حاضر.. هعمل شيكولاته ساخنة وفشار وهاجي نرغى وننم شويتين، مضى بنا الوقت ونحن نتحدث حتى الصباح ، وظلت تحدثني عما حلمت به طيلة عمرها ،وأن جميعه قد تحقق ،ولكن ليس معها فقد حققته أنا ،وقالت لي إن عاليا في مقام والدة لي ،وحين نظرت لها باستغراب فقد اعتادت على المشاكسة معي بسبب عاليا ،وغيرتها من حبي لها ،وكانت طوال عمرها تحلم أن تراني أرتدي الفستان الأبيض، ولكن بعد أن مات أحمد لم تعد تحلم بذلك ،وتحمد الله على أني بجوارها على قيد الحياة سعيدة معافاة ،ولكنها كانت تتساءل: لماذا رفضت كل من تقدم للزواج بي في حين أني لم أكن لأتزوج أحمد ،وظلت تتذكرهم واحدا تلو الآخر ،وتتذكر المواقف التي افتعلتها معهم ،وظللنا نضحك حتى آذان الفجر ؛فقمنا لنتوضأ وصلينا، وحين سلمت وجدتها لا تزال ساجدة فناديت عليها فإذا بها تقوم وتسلم ، كنت أظن أنها نامت وهي ساجدة ،ثم صعدنا على السرير لتنام فاحتضنتني بشدة ووضعت رأسها فوق قلبي ،ثم شعرت بها تغط في النوم فضممتها بشدة، ثم لم أشعر بشيء إلا آذان الظهر وجرس الهاتف يرن ،وعليا تتصل على الموبايل فرددت،

وقالت لي : كل ده ، صباحك سكر ، هتقومي إمتا ؟ عندنا شغل كتير، فحاولت أن أقلق أمي حتى أقوم من السرير ولكنها لم تتحرك ، فناديت عليها بصوت خافض ،ولم تسمع أو تنتبه ،ثم علت طبقة صوتي ،وعليا لازالت على الخط ،وإذا بها تقول لي : هَنا، انهضي من السرير وابحثي عن أي زجاجة عطر واجعليها تشمه ، ففعلت وقالت لي : أحضري جهاز السكر والضغط، وافحصي ضغطها أولاً ، فلم أجد نبضا والجهاز أعطي إشارة عدم المتابعه لعدم استقباله شيئا ،فقالت لي : جربي جهاز السكر ؛ فجربته ولكني لم أجد دماء لأخذ العينة ووجدتها باردة جداً ، فقالت لي عاليا: سوف آتي ومعي طبيب وتصلي أنت بخالتك وبأخيكي ، فبدأت أستوعب الموقف ،وأنها لم تعد معي ،ولم أفعل أى شيء سوى إنى احتضنتها حتى أتت عاليا ،وقامت هي بكل شيء حتى ذهبنا للمقابر ونزلت معها إلى القبر ،وقلت لها :أنت الآن مع إخوتك وأنا سآتي لكم عما قريب لا تقلقي ، لن تكوني وحدك وسوف آتي كل جمعة لأجلس معكِ وأؤنس وحدتك، وكانت عاليا تنهار ثم تتماسك ،وتأخذني بحضنها ،وحين كانت تفعل كنت أبكي حتى أنسى لماذا كنت أبكي، وظلت كل من عاليا وعاصم وأولادهم معي حتى انتهي العزاء ، وقال مدحت : تعالي معايا البيت ، فقالت عاليا : بل ستأتي معي عشان عندنا سفر وشغل.

ولأول مرة في حياة عاليا مع عاصم يسمح لها بالسفر و سافرنا إلى تايلاند لعمل صفقة ،والحمد لله تمت على خير ووجود عاليا معي

وهيبتها جعل للشركة ثقل :فأنا أميل أكثر للمرح وعدم التقيد إنما هي تتسم بالرزانة والجدية (إلا معي)..

هناك رأيت عاليا لأول مرة كطفلة كاملة الطفولة ،وقد أصابها الانبهار والفخر والحب والشغف وحب الاستطلاع وإشتهاء كل أنواع الأكل الغريبة وحب التجربة مع الخوف والاستكبار على هذا الخوف في نفس الوقت ،وكانت تشتري كل شيء تجده ،وبفضل ذلك أخذنا خصومات بالغة بالنسبة للمبلغ الذي دفع في الإجمال ،وقد اشترت لكل من تعرفه ،وكل من تعرف أنه معرفة لأحد تعرفه أو تحبه لتشعر أكبر عدد من الناس بالسعادة كما تشعر هي.

وفي طريق العودة قالت لي :أشعر أن عاصم لن يعيش طويلاً :فقد تغير كثيراً وأصبح حنوناً وسخياً ،وتحكمات رجولته قلت كثيراً حتى أنه فقد جزءا كبيرا من غروره سمعت لها ،وحاولت أن أعدل رأيها لكن قلبها هو قرون استشعارها الصادقة وعُدنا ،وكان عاصم يفتقد عاليا كافتقاد الرضيع لأمه الذي لا يعرف سواها وأخذ إجازة من العمل لأول مرة في حياته منذ سن السادسة عشر ،وقال لها : تمني أي مكان وسنذهب إليه ، وبالفعل كانت تتمنى أن تزور الصين ،ولكن حين سألته عن عمله فقال لها :حين سافرتي رتبت كل شيء بغيابي ،وذهبوا إلى الصين، وعادوا إلى السعودية لاعتمار بيت الله ،ثم عادوا بعد سفر دام شهرين ،وكانت عاليا سعيدة سعادة مشوبة بخوفها مما سيحدث فلن تبتسم لها الدنيا هكذا طويلاً بلا سبب أو مقابل ،وفي إحدى

المرات التي كنت فيها عند عاليا ، قال لي عاصم : سأوصلك للمنزل ، وفي الطريق قال لي: إن حالة قلبه الصحية ليست على مايرام ،والأطباء لم يعطوه وقتا طويلا ليعيشه ،فقلت له :يا حبيبي الأعمار بيد الله ،والله هو الطبيب الأعظم، قال لي : أعلم ولا أبالي لكني أريد كل شيء أن ينتهي على خير ما يرام حتى يطمئن قلبي، وأكمل قائلاً : إنه قد نقل ملكية كل شيء إلى عاليا ،وعرض المصنع للبيع لأن لا أحد من أولاده يمكنه أن يديره أو حتى لديه حب العمل في ذلك المجال ،وهو يريدهم سعداء ،وقال لي: إنه حين يقوم ببيع المصنع سيضع المال في حساب عاليا حتى تستطيع أن تفتح المطبعة لإقامة دار نشر كبيرة كما كانت تحلم ،والباقي تبقيه لعبد الرحمن وعزيز ليشتركا في مشروع ما وأن يحافظا على حصة البنات مناصفة معهم..."

عاش عاصم مع عاليا ما لم يعش في شبابه وطيشه ،وعوضها عن كل شئ قد شعرت أنها قد حُرمت منه يوماً، ولم تتغير عاليا كثيراً، فكانت دوماً لا تبالي بأي شيء مادي ؛إنما فقط أرادت الحب والحنان.

أقام عاصم في يوم وليمة كبيرة ودعا كل معارفه وأقاربه ومعارفهم في المصنع وكان هناك فرقة موسيقية وشواء ورقص مواسم أشبه بالسفاري وأسعد الكل حقاً، وفي هذه الوليمة تحدث عن كل شخصٍ على حدة أو كان ينصحه رغم اختلاف الأجيال والروابط ،وكانت عاليا وكأنها تتلألأ من السعادة وعيناها تلمعان ووجنتاها حمراوتان طوال الوقت، وكانت تحتضنني من شدة سعادتها ودفئها وجنة كانت ثالثتنا ،

فكالعادة حين تحتضنني والدتها ، تأتي جنة وتجلس على صدري عند قلبي تماماً أو تظل تقبلنا وتغني.

وفي نهاية الوليمة وقف عاصم وشكر كل الموجودين ،وقال: إنهم قد أضافوا الكثير لحياته، وإنه سعيد أنه قد استطاع قضاء بعض من الوقت معهم وأن له معهم ذكريات كثيرة لا تنسى .. وعدنا جميعنا إلى أدراجنا ، وقال لي عاصم : هَنا ، تعالي وأقضي الليل معنا : فإني أفتقد السهر معكم جميعاً . وذهبت وكانت عليا مبتسمة خائفة طوال الوقت؛ لأنها تشعر بقلق متزايد تجاه عاصم.

ونمنا قبل الفجر بساعتين ،وعند آذان الفجر وجدت من يدق على بابي وعندما فتحت فإذا به عاصم ، أخذني من يدي ودخلنا غرفة نومه وإذا بعاليا ممسكة بالمصحف ونائمة ولكنها لم تكن نائمة ، لقد فارقتنا ورحلت عنا .. مسك عاصم بكتفيّ ،وقالي لي :إن وصيتها أن أقوم أنا بكل شيء لها ،ولا أحد آخر وقبلها على جبينها وخرج ،وقال لي :سأرسل لكِ إخوتها وأنا أعرف أنكِ ابنتها المطيعة الصامدة القوية ، هَنا يكرمك الله أكملي معي كل شيء فقلبي لا يتحمل ،وأنت هنا مثل عاليا تماماً."

وبالفعل كنت قوية أردد الشهادة والأذكار والقرآن طوال الوقت حتى انتهينا ،وقد أوصتني أن تدفن بجوار والدها ،وبالفعل ذهبنا إلي قريتهم ،وقمنا بكل شيء وكلما كنت أشعر أني على وشك أن أفقد الوعي أجد جنة متشبثة بيدي أو بجسدي أو مخبئة رأسها بي ،ولا تريد

أن ترى شيئا، وحين عدنا أحضرت لها سماعات أذن ،ووضعتها على أذنيها ،ولكنها ظلت بجواري ملتصقة بي ،وكلما أوشك على الانهيار أجد جنة التي لم تترك تفصيلة من عاليا إلا وورثتها ؛فأقبلها وأضمها إليّ وقلبي يعتصره الألم ، أشعر وكأني أتحطم من الداخل شيئاً فشيئاً، أشعر وكأن ذلك الألم يكاد أن يكسر عظامي، ولكن حينها أتذكر عاليا تقبلني أو تضحك :فأجدني أضحك وأتذكرها وهي توصيني بأي شيء فأزداد صلابة، ولكن الحياة فقدت معناها وألوانها بعد رحيلها ،ولا أعرف إلى أين أهرب هذه المرة ، فدوماً كنت أهرب إليها أو أختبئ بقلبها أو أضع رأسي على صدرها ،فأستمع إلى ما تريد أن تقول من نبضاتها ، أشعر بالبرد فتضمني لأشعر بالدفء الذي يتخلل لأعماقي حتى يصل لأطرافي ، وحين كنت أقنط من شيء، وينتابني اليأس كانت هي شعاع من أمل ينير حياتي بوجودها جانبي.

ومر شهر وأنا لا أغادر غرفتها، وكان عاصم ينام ليلاً عند أخته وأنا وجنة وسما ننام على سريرها ،وكنت أنام لأحلم بها تحدثني وتضحك معي ،وأراها دوماً مبتسمة جالسة في مكان جميل،وأراها مع والدها ووالدتها، وهي تضمها وكانت خالتي أيضاً تأتيني بالحلم ،وكل مرة كنت أراها بحال أفضل عن المرة السابقة.

ثم أتت وقالت : هَنا ، الأولاد وأنت أختهم الكبيرة ، يجب أن يكملوا حياتهم مثلما كنت موجودة بالضبط ، أنا واثقة من قوة قلبك وهيا انهضي من أجل العمل وميعاد المدرسة ، هيا .. وظلت تهزني حتى تحول

الحلم إلى حقيقة ففتحت عيناي ،ووجدت جنة فوق رأسي تهزني ،وتقولي لي : لن أذهب إلى المدرسة ؛ فاحتضنتها وأيقظت سما، ووجدت عاصم على الباب يقول لي : سأوصلكم وأوصل عزيز أيضاً ؛لأنه لن يطيعك ،ويذهب للمدرسة ، فقلت له : حسناً ، وأيقظت عبد الرحمن ليذهب إلى عمله بالشركة.

وبعد أن أوصلناهم جميعهم إلى مدارسهم، قال عاصم : أنا سأذهب إلى المصنع فلتأت معي، ونحن في الطريق كنت أتذكر أول مرة رأيت عاليا ،وأول مرة نمت بحضنها ،وكيف كانت تضحك وتضحكني وكيف كانت تجعل مني إنسانة قوية صلبة لا تخشى شيئاً ،وكيف جعلتني أبعد عن كل المشتتات، حين وجدتها وعرفتها وجدت فيها ضالتي، كانت هي الأمان والدفء والاستقرار برغم أني لم أكن أعيش معها ،وكان بعدها عني يلوعني ويؤلم قلبي، ولكن سرعان ما كان يزول كل هذا عند رؤيتها ،ثم غطت في النوم ورأيتها جالسة في مكان لونه أخضر ،وكانت مبتسمة وتقول لي : أنا أحبك أكثر ؛ فابتسمت وقلت: لا ، أنا أحبك أكثر ، وأيقظني عاصم ،وقالي لي :لقد وصلنا، فاستيقظت ،وإذا بنا أمام دار نشر عاليا ،وأعطاني ورقا، وقال لي : هذا نصيبك فيها ولكِ حق الإدارة بها كلها ، فوضعت رأسي على كتفه،وقبلت كتفه وبكيت لكنه وضع يده على كتفي وقال : المهم ، أنا أريد أن أسافر وأنا مطمئن أن كل شيء على خير ما يرام ، فقلت له: مسافر ؟ إلى أين ؟ قال : أريد أن أذهب إلى البيت الحرام، وأقضي هناك بعض الوقت ، وأضاف : حين يكون الأولاد جاهزين ومؤهلين لتحمل المسئولية أريدك

أن تنقلي لهم نصيبهم ،ولكن ليس قبل ذلك، ولا تعطهم الكثير من المال بأيديهم ، فالمال يفسد أكثر مما يصلح ،وهذا ما قاله لي والدي وحافظت عليه طوال عمري ، فقلت له : يا عاصم دي مسئولية والعائلة موجودة ، فأجابني وعيناه ممتلئة بالدموع ، ولكنك ابنتي الكبيرة التي وثقت بها من أول يوم رأيتها ،ووضعتها في اختبارات كثيرة ،وفازت باكتساح ، أنا أعرف أن غياب عاليا قد قسم قلبك نصفين، ولكن جنة ستعوضك ،وأنا أعرف أنك تحبين بقية الأولاد جميعهم بقدر متقارب ،وأنا قد تركت للمحامي كل شئ جاهز ،ولن يسألك أحد عن أي شيء، وأريد حينما أعود أن أجد كل شيء كما أتمناه.

ودع عاصم أولاده وسافر ولكنه لم يعد أبداً ، أرسلت لنا السفارة بخطاب، وعندما سافرنا إلى الأراضي المقدسة وجدناه قد مات ،ودفن بالبقيع بجوار أصحاب رسول الله (ص) وقضينا فريضة الحج ،وكانت أول مرة أرى فيها الكعبة المشرفة ،وبكيت كثيراً وكانت الدموع تغسل ما بداخلي وتمحو حزني، وشربت من ماء زمزم بنية أن يزول الحزن عن قلبي ،وأن أصمد إلى أن ينتهي عمري.

بعدها مرت الأيام سريعاً ، وحقاً أنا لا أصدق فاليوم هو فرح جنة وهاني ،وهي أصغر الأولاد وآخر فرد منهم لم يتزوج بعد وسوف يعيشون في منزلي ، منزلي الذي لم أذهب إليه منذ أن تركتني عاليا ، منذ أن فارقتني ،وأنا لم أغادر غرفتها كنت أجعل أي أحد يذهب، ويحضر لي أغراضي ،فأنا لم أشعر بالأمان إلا وأنا نائمة على سريرها، وجنة

بجواري ،والآن ستتزوج هاني الذي أصبح أحمد طبق الأصل: فقبلتهما. ورقصت معهما ومع الأولاد وأبنائهم ،فأصبحت أما دون أن أنجب ،وأصبحت جدة ،وكل هذا قد أعطتني إياه عاليا التي جعلها الله سبب في سعادتي على الأرض.

بعد الفرح قالت سما: أنها ستقضي الوقت عندي لأنها تريد أن تصلح شأن زوجها ،وتجعله يعرف قيمتها، وقلت لها : عاليا كانت تعرف أنكِ قوية ،ولذلك لم تخف عليكِ طوال عمرها، ولكن كوني مثل والدتك ؛ فقبلتني وقبلت يدي لأول مرة وقالت لي : أنا أعرف إني لم أكن طيبة معكِ ،ولكن أنت تعلمين كم أنا أحبك ، ومع أني كنت أستفزك كثيراً إلا أنك لم تقس عليّ أبداً ، فوضعت يدي على شعرها كما كانت تفعل عاليا حين أعتذر لها، وقلت لها : أنت حبيبتي ولم أغضب منك يوماً ، وسألتها : أين ستنامين ؟ فقالت لي : سأضع عاليا الصغيرة لتنام في حجرتي ،وسآتي لأنام بجوارك مثل أيام زمان ، وخرجت وأغلقت الباب ،وإذا بعليا تفتح الباب وتقول لي : هيا تعالي ، لقد افتقدتك كثيراً ... فضحكت و قلت لها :

بس أنت وحشتيني أكتر عشان أنا بحبك أكتر

*****

"هنا" , "هنا" , "هنا" , "هنا" أنت سمعانى ،فنظرت لها ،وكنا لازلنا مستيقظين، كانت عاليا تقص لي قصتها منذ الطفولة إلى أن قابلتني،

فقد فقدت أمها في الثالثة وكانت طفلة مشاغبة ، تبحث عن المتاعب, كان أبوها الشيخ (رحمه الله) قاسي الطبع فى تربية أبنائه إلا عليها لأنها أصغر طفلة بين ٧ أخوات ومفتقدة الأم......................................

وتزوجت لأنها تخشى من الفتنة في الجامعة لأنها لم تتعامل مع ذكور سوى إخوتها وأزواج أختها وطلبت من والدها أن يزوجها.............................. وكانت بالرغم من أنها الأخت الصغرى والأصغر في العائلة إلا أنها...

قامت وأحضرت حقيبة يدي وقالت لي:

عليكي التخلص من المرآة والهاتف المحمول حينها وكانت كل الأحداث المغلوطة بدأ عقلي يستدعيها لكن بشكل صحيح و أسباب حقيقية:

أتممت الرابعة والعشرين من عمري, لا أتذكر كيف كنت قبل ذلك

لا أتذكر حيث أن الحوادث كانت أكثر من الاحداث ومع كل حادثة أوبمعنى أدق مع كل فقدان يعزلني عقلي عن الواقع و إدراكاته...كنت دوما أفضل الهجرة إلى الركن الخاص بي كلما أجهدني التفكير، أجدت كل طرق الهروب حتى لا أضطر للمواجهة, وإن كانت حتى مواجهة نفسى فضلا عن مواجهة الآخرين.

واقتصر عيد الميلاد في المرسم عليّ أنا و خالد وبالطبع هي...

ذهبنا لنأكل كالمعتاد في مكاننا المفضل ذي الزجاج العاكس

إيما صديقتي وجودها معها يهدد وجود سهام في مرآتي أتصارع معها لا أبتعد عنها.

لم أستطع سبب معرفة اهتمام سهام بها, أو حتى سر الصداقة بينهما لعدم وجود أشياء مشتركة سوى أنها تشبه سهام الحقيقية وليست سهام في المرآة.

تقابلنا في السنتر بجوار المكتبة تناولنا الإفطار الشهي ثم شربنا قهوة و برتقالا, دخنا بعض السجائر...ظلت تفكر كثيراً، أتسألني عن أمس أم لا نظراتها لا تستطيع أن تخبئ ما بداخلها...ذلك الصراع عن كوني أعيش في الواقع أم أنني أعيش واقعي مع شخصيتين افتراضيتين أهرب من إحداهما للأخرى.

لازال لديه تلك الابتسامة الساحرة البريئة، التي تجعل كل ملامح وجهه تبتسم وخصوصاً عينيه البنيتين العميقتين اللامعتين...سلّم على يدي بحرارة جعلت جسدي يرتعش حتى الأطراف...ربت على كتفي بيديه...تمثاله الذي نحته له قبل أن يخبرني بحبه...لازالت يدي ترتعش حين ألمسه ،وكأن خالد قد عاد للحياة في أبهى صوره... أنحني له فتلمس شفتاه جبيني وتستقر يده على كتفي...

ظللت ليلاً أتحدث مع "سهام" على التليفون... لا أستطيع النوم ليلا إلا إذا تحدثت معها وقصصت لها كل أحداث اليوم.

أعمل على الرسالة ،ولكني لم أكن أنجز فيها أي تقدم بالرغم من قضائي وقت كبير في المكتبة مع سهام...فكنت أقضي وقتي في المكتبة أنظر إلى سهام في انعكاس وجهي على المرآة...

اتصل بي خالد :هَنا، هشوفك بكرة ؟ فأجبته : حاضر و النعاس يغلبني. استيقظت فجأة على كابوس أن "سهام" تتركني وترحل ،وأنا أتوسل إليها وهي لا ترد ولا تبالي... حين كنت أشبع إحساس الفقدان بسهام في المكتبة, تلح علي الرغبة في رؤية خالد فتجذبني سهام تجاهها في عقلي الباطن ،ويترجم في الحلم...

ودَّعت خالد ،وأنا أكره لحظات الوداع أو بمعنى أصح لحظات الفراق، بعد ذلك قابلت "تقى" في حديقة الأزهر ،والتى اعتدنا اللقاء فيها منذ افتتاحها لنستمتع بسحر القاهرة القديمة, سكون المقابر مع تكدس الأحياء بخلفية خضراء ...قررت بعد صراع وداع خالد ؛فذهبت إلى المرسم تحسست ملامحه ،ثم أقنعتني تقى بكسر تمثاله بعد ذلك ذهبنا إلى حديقة الأزهر لتذكرني أن الأموات يعيشون بجوار الأحياء؛ فالمقابر تحتضن المدن و تحوطها...قريبة وبعيدة في نفس الوقت...

قابلت "سهام" بعد العمل في BUNO كافية, مكاني المفضل المكسو بالمرايا في جميع الأركان, أستمتع فيه بالوقت, وإن كنت بمفردي يمكنني قضاء الوقت بمشاهدة الآخرين...كأنهم كتاب مفتوح تنتقل بين صفحاته بحرية... دخنّا النرجيلة, كانت سهام مليئة

بالأحداث ،وظلت تتحدث معظم الوقت، كأنها تريد أن تتأكد أني لازلت في مكاني من علاقتي بها،فجأة سكتت وسألتني:

أنت ليه بتحبيني ؟

بعد أن تخلصت من خالد جذبتني سهام تجهاها في مرايا الكافية لكن صوت العقل طرح السؤال عن سبب ذلك الحب ... لعلني أشك بوجوب قضائي باقي عمري معها...

سكت وتنهد تنهيده طويلة وقال : أبداً خلصت المعهد ولم أذهب حتى لأخذ الشهادة واتجوزت وجبت "هَنا"

سكت ونظر إلي طويلاً فإذا بواقعي الافتراضي يفرض نفسه ويفترض أنه تزوج حتى يفض الصراع...

سألتني : مالك ؟ جواكي حزن عميق تدفنيه تحت بأعماقك وبتخبيه بضحكاتك الصاخبة.

أجبتها :أبداً أشعر بالغربة في كل مكان في المنزل ومع الأصدقاء، وإن كنت أشعر براحة معهم أكثر مما أشعر في أي مكان آخر مع اعتراضي على مواقفهم في الحياة؛ فهم يعشقون اللون الرمادي ولا يجيدون تحديد هوايتهم أو ردود أفعالهم أو مواقفهم تجاه أي شيء، فقد تصبح سهام هنا وقد تكون هنا سهام في مواقف مختلفة

قالت :جينا أنا أعرف إنك قوية وستتغلبين على كل ذلك آجلاً أم عاجلاً حين تجدي طريقك وتحددي هدفك وتشبعين حاجاتك....ضحكت وقلت : يا مين يعيش...

أمضيت يوما عجيبا ما بين ذكريات الماضي ولقاءات الحاضر وكلام عن المستقبل, كان يقطع يومي وسعادتي اتصالات "سهام", كنت أرد في برود لا أعرف لماذا ؟؟ فلا يوجد سبب لتجاهلها...لكني اتصلت بها قبل أن أخلد للنوم.

جينا كانت ملمة بحالتي لم تدخل معي في صدام :لكنها تجذبني تجاه الواقع الحقيقي فتتصل سهام حتى لا أتركها ...أرد ببرود لأنني مللت التمثيل ،لكنها تغلبت علي قبل النوم حين يزيد نشاط المخ في تمني ما أريد وتبهته في عقلي الباطن...

في اليوم التالي ذهبت لمقابلة "سهام" في المكتبة, قابلتنى بحضن دافيء ،وقالت لى : وحشتيني أوي ، عايزين نقعد مع بعض ونحكي كتير أوي, لا تنفك ذكريات الماضي حين أتذكر هدى صديقتى رحمها الله التي كانت تشبه "سهام" كثيراً ،والاختلاف الوحيد هو نقاء القلب الذي تفتقده "سهام".

تهدد وجود سهام فبدأ العقل الواعي بالرد على سؤالها القديم فقد أسرت مشاعري لأنها تشبه صديقة قد فقدتها ...نقاء القلب يكمن في رحيل هدي وبقاء سهام رغم موتهما...

قررت كثيراً الابتعاد عنها، ولكن مع سحرها المسموم وحنيني الذي لا يرتوي... أتمني أن أكون مخطئة ولست مظلومة. بلا شك لم يكن هذا سوى حلم وتأثير هرمون الحب على مراكز الإدراك فيسبب خللا إدراكيا في مراكز الحواس كلها "مراية الحب عامية"

لم أستطع الابتعاد ،وكان عقلي ينبأني أني سأنتهي نهاية مأساوية كفقد العقل أو الهذيان...

فقلت له : الطيارة وصلت سأذهب لاستعد، وسلمت عليه وأطلنا السلام بالأيدي والنظرات ،ثم سألني رقمك " ٠١٠٠٠٠٠٠٠" لازال كما هو فضحكت "ما شاء الله الذاكرة ..."

في اليوم التالي اتصل على هاتف والدتي رقم مجهول في منتصف الليل، فلم أرد فأرسل رسالة " لسه زي ما أنت ... في اليوم التالي اتصل على هاتف والدتي رقم مجهول في منتصف الليل، فلم أرد فأرسل رسالة " لسه زي ما أنت ..فذلك الرقم هو رقم هاتفي القديم والذي تركته بعد أن رحل أحمد...

قلت لها : والله يا تقى الدنيا كلها ماشية عكس ما أنا عايزة ومش عارفة إيه ممكن يحصل بكرة .

ولكني أشعر أن شيئاً كبيراً سيحدث ،وأن كل الأحداث ستنقلب ضدي ولا أدري هل أهرب .. أم أواجه ؟؟!!

قالت " :أنت على طول بتهربي .. هربتي من الحادثة ،ومن تخلي أحمد عنك بالدراسة والعمل ،وهربتي من تخلي مروة عنك وصدمتك فيها بمعرفة ناس جديدة واعتبرتيها شر لابد منه أو إنها من ضمن المفروضات عليكي كأمك وأبوكي وأخيكي أو حتى كالحياة بشكل معين .. لست راضية عنها أو كالموت الذي يأخذ من تحبي منكِ وأنت خلاص خمسة وعشرين عاماً, هتهربي أكتر من كده إيه؟"

من ضمن محاولات تقى لردي إلى الصواب.

ظلت "سهام" بعد ذلك ثلاثة أيام لا ترد على الهاتف ،وأخبرتني صديقتها أنها نائمة لا تريد الاستيقاظ للرد على أي حد, وحين ستيقظت "سهام" بعد النوم لمدة أربعه أيام ... قالت : أنا عايزة أنزل المكتبة .. هتيجي معايا ، فوافقت وذهبنا وكانت تنظر لي نظرات غريبة كلها إزدراء ،ولكنها تتحدث بغير ذلك ، ثم سألتني عما إذا كنت سأحضر عيد ميلاد "مها" السبت المقبل :فأجبت بالموافقة وأني سأتي ،فقالت لي : أوكي، وأنت بتشتري هدية، اشتري هدية على اسمي معاكي ونتحاسب بعدين.

بدأت محاولات تقى ووجود أحمد يفرض واقعه علي مما هدد وجود سهام.

وصلت عيد الميلاد متأخرة, فرحلت "سهام".لا أعرف السبب. بعد أن غادرت اتصلت ،و أخبرتني إنها قد نالت كفايتها من كل شيء، وأنها تريد الابتعاد عن كل الناس، وتريدنا أن نبتعد حتى لا نصل لدرجة الكراهية. وحين طلبت منها تفسيرا لذلك رفضت ولم أتمالك نفسي وانهرت باكية ،ولأول مرة منذ وفاة خالتي منذ أربعة عشر عاما شعرت بأن قوايا تخور وشعرت بالانهيار والانكسار، وطلبت منها أن تعدل عن رأيها، فقالت: نحن سنبتعد لفترة وليس للأبد ،وبررت بأني قد طلبت منها مراراً وتكراراً أن نبتعد لأني لا أستطيع مجاراة شخصيتها وطريقة تعاملها الغير مفسرة والغير مبررة، والتي لا أستطيع أن أتعامل معها, لكن كل هذا لم ينقذني من الانهيار ،وأغلقت الهاتف لمدة أسبوع، وحين اتصلت سألتني عن أحداث في حياتها وحياة أصدقائها، لم يكن لديّ أي إجابة؛ لأنها أحداث لا يعرفها...صرخت عليها في انهيار ، إنه من الأفضل الابتعاد :فقالت حسناً هذا ما قلته لنفسي أيضاً ،وكان صوتها مخنوقا ومجروحا ، مما جرح قلبي وجعلني أشعر أن الدنيا قد فقدت معناها ولا أستطيع التغلب على التفكك الداخلي ولا الشتات الخارجي.

انهارت أعذار سهام لوجودها في حياتي لكني لم أستطع تركها تموت للأبد فأثرت أن نفترق على قيد الحياة لعنا نعود يوم ما.

تذكرت فى عيد ميلادى حين قالت لى :هنا أنا بحبك زى إخواتى، ولكن بطريقه مختلفة ومقدرش استغنى عنك ومش هخذلك أبدا ولو أنت خايفه من الموت ده بقى مش مشكلتى الأعمار بيد الله بس اطمنئى لو مت فى الحقيقه هعيش معاكى فى الحلم بس أهم حاجة خليكى واثقه فيه.

قد تكون تلك الكلمات هي ما هيأت عقلي الباطن للعيش معها في واقع افتراضي لا يفصلني عن واقعي وتبقى ملاذا أختبئ به كلما أردت.

أستطيع أن أرى فى عينيها كل ما تريد أن تقول أو تشعر به، لكن ربما أنا أريد أن أرى ما ليس حقيقيا.

بدأ عقلي في استيعاب قدرتي على التخيل فبدأت أشك في الحاضر و الواقع الذي قد يختلط بما ليس موجودا إلا في خيالي...

في يوم كنت في المكتبة و رأيت "سهام" فوجدت ضربات قلبي ستخترق ضلوعي ،وتظهر ذبذباتها من فوق الملابس ،وإذا بها تتجاهل وجودي وكل من بالمكان ينظر إليّ ،ويتساءل عما حدث وكيف صارت الأمور إلى ذلك الحد فإتصلت بـ عاليا وأنا منهارة فأتت إلى المكتبة وقد كان لديها مقابلة مع المشرف على الدكتوراه وإعتذرت لتسرع إليّ وحين رأتني ركضت نحوها وإحتضنتني بشدة وقالت لي " يعني قدرتي تطردي الجن والهواجس من محاصرتك،

مش هتقدري تطرديها من جواكي" تذكرت حينها أني قد نسيت أن أحضر حقيبتي وأوارقي فقالت لي " هيا عودي وأحضري أشياءك وأنا سأنتظرك هنا"

فرجعت مرة أخرى فكانت أخذت نظارتي و تنظر لي من تحتها, لا اعرف لماذا كانت ترتديها بالمكتبة حتى لا تجعل أحد يرى أين تذهب نظراتها...لكني رحلت مع عاليا

في ذلك اليوم بدأت سهام تطاردني في المرآة مرة أخري ،فخرجت لأرحل فارتديت نظارة شمس ،ثم عدت لأرى انعكاسي بالمرآة كأني سهام... لكن عقلي لم ينتبه، فكانت أوصالي تمزق من صراع الواقعين.

حينها تذكرت شكل "سهام" هذه المرة لم يكن كالسابق، فأصبحت تشبهني أكثر : لأنني بدأت أعود لطبيعتي فبدأت سهام تتشبه بي لأنها مجرد انعكاس لصورتي بالمرآة.

ترددت بعد ذلك على المكتبة كثيراً ، ولكني لم أر "سهام" ثم اتصلت بها لأكسر هذا الحاجز النفسي لكنها لم تجب اتصالاتي

بدأت أمتثل للشفاء ...فلم أعد أرى انعكاسها ...لكني أفتقدها فأتصل ،و بالطبع لن تجيب علي هاتفها ، فكنت أتصل من هاتفي المعطل.

لازلت اجلس مع عاليا في تلك الليلة الطويلة , ولازالنا نجلس سويا في التراس ولم يحرك الزمن ساكنا سوى في عقلي, ولازال الواقع كما هو , أخبرتني عاليا إنه يتوجب علي أن أعود إلى هيئتي التى رأتني بها في أول مرة ... لم أستوعب كلامها...عنفتها...احتضنتني... قصت علي إنه منذ أول يوم رأتني وأنا أتحدث في المرآة، فطلبت مني رقم الهاتف، فإذا بي أعطيها رقم هاتف مكسور أمسكه بيدي فطلبت رقم هاتف المنزل .... فاعطيتها رقم منزلي واتصلت فردت أمي عليها التي أخبرتها بموت صديقتي...فشغلت تفكيرها بدافع الحب الذي بعثه الله في قلبها ؛و كأني ابنتها...التي لم تنجبها لأنها مرت بظروف مماثلة فحين فقدت أمها في الصغر كانت تتحدث إلي فساتينها...حتى عرضت على طبيب للتخلص من ذلك الارتباط المرضي بشيء يخص شخص افتقدته... وكأني بالفعل أبنتها التي ورثت ذلك السلوك منها...فهي حالة نادرة من المرض النفسي الذي يصيب أصحاب القلوب الرقيقة, لم تدرس علم النفس لكنها خبيرة بالارواح المعذبة و تعي جيدا أن الحب دواء القلوب العليلة... فقررت ان تتبني قلبي لتلد روحي من جديد وتهدهدني على صدرها الذي ينهمر منه الحب والحنان في شلال مندفع لا يقف في وجهه حزن او جرح دون أن يتلاشى...

بدأت كل الأحداث تعود أمام عيني...كنت أعمل في الضيافة...تعاركت مع سهام بسبب عدم إخباري لها عن علاقتي بخالد, فكانت تعتقد أنه

يحبها ككل الرجال في حياتها... فاعتذرتُ عن الرحلة التي خططنا أن نكون سويا فيها ...

عرفت لاحقاً أن خالد بدل مواعيد رحلته هو الآخر ليكون معنا على نفس الرحلة ويقدم لي هدية عيد ميلادي...تحطمت الطائرة...ماتا سوياً...عندما سمعت الخبر قذفت الهاتف علي الأرض فتحطم ...دخلت في غيبوبة...نسيت كل ما حدث قبلها...وجدت الهاتف معطلا .لكنه كان هدية من خالد فاحتفظت به,غيرت قصة شعري لأتشبه بسهام, فأراها كلما أنظر بالمرآة... لم أتأقلم في العمل في غياب سهام ... لكني كنت أذهب كل يوم إلى المرسم لأرى تمثالين كنت نحتهما لخالد و سهام... أتحدث معهما بالساعات, دون أن يراني أحد, حين أكون وسط الناس أنظر في المرآة لأرى سهام... أحدثها هي وخالد في المحمول...

تذكرت أني أذهب إلى أماكن لقائنا ،و أطلب مشروبين برتقال وقهوة ... كابتشينو وعصير، و أشرب سجائر بدلاً عنها, فلم أكن مدخنة قبل وفاتها ... كانت تقى تحاول جعلي طبيعية حين تأخذني الى حديقة الأزهر بجوار المقابر لعلي أعترف بحقيقة الموت.

حين قابلت أصدقاء سهام بمفردي كنت أتهرب منهم بالحديث في الهاتف المحمول... لأتهرب من الواقع...أو أدخل الحمام لأرى سهام في المرآة....أخبرتني إيما ذات يوم أني أصبحت أشبه سهام لذا تحب التواجد معي, فتركتها ودخلت الحمام على عادتي فتسألني سهام لماذا أحبها....حين قابلت جينا ،وبدأت أعود بالواقع لأنها كانت صديقة

مشتركة لي و لسهام ...كنت أقضي وقتا كبيرا بالمكتبة لأن جدرانها زجاجية فأختلي فيها بسهام....

عندما بدأت أحن لأحمد...... بدأ الواقع الحقيقي يسيطر علي...بالرغم من كون أحمد حبي القديم ويكاد يكون الأوحد...ولم يكن خالد سوى شبيه له تجتمع فيه صفاته... كان علي الاختيار إما الابتعاد عن أحمد أو الابتعاد عن سهام... لذا قطعت سهام الطريق حين اتصلت بي لتستفسر عما إذا كنت أريد إنهاء صداقتنا ،ولكني فضلت البقاء معها...بسبب تقطع أوصالي مابين الواقع الحقيقي و الواقع الافتراضي... انقطعت سهام عن الاتصال أو استقبال مكالماتي...ثم انتصرت سهام مرة أخري فذهبت للمكتبة لأكون معها... ومن ثم اشتريت هدية لصديقتها بدلا عنها في عيد ميلادها... بدأت جدران الواقع الافتراضي تسقط واحدة تلو أخري وأصبحت سهام تعرف أشياء لا يعرفها سواي فبدأ الواقع الافتراضي بالتلاشي وأصبح أطلالا... فقررنا الانفصال والابتعاد...حتي تظل على قيد الحياة، ثم قررت الابتعاد عن أحمد هو الآخر حتي لا يربطني بالواقع الحقيقي مرة أخري ،فجعلته يتصل بي في واقعي الافتراضي ليخبرني أنه سيتزوج... وحين امتثلت للشفاء بسبب عاليا رأيت سهام مرة أخري في مرآة المكتبة ،فخرجت هاربة ثم عدت لأخذ أغراضي فرأيتها ارتدت نظارتي...

كانت آخر محاولاتها للسيطرة عليّ مرة أخري حين رأيتها في مرايا المطار لكني أختبأت في عاليا،حينها أخذت نفسا عميقا، وتحسست وجه عاليا فاحتضنتها بعمق وقبلتها وقلت لها:

"أنا بحبك أوى ومش مهم إيه هيحصل بكرة ،ولا مين هيموت قبل مين المهم أنى معاكى دلوقتى وأنا واثقه فيك وعارفه إنك مش هتخذلينى، حقيقى أنا حاسه إنك أنت أمى، وكنت أمى من زمان."

لازلت على اقتناع بأن أرواحنا تلاقت من قبل أن نتقابل في هذا العالم، وهناك في العالم الاول كانت هى أمى وأنا ابنتها لذا كان صوت ضربات قلبها مألوفا على أذنى على قلبي ،لذلك تلوعني لدغة الحنان كلما أسمعه التي لا تنطفيء الا حين تملس براحة يديها على شعري فأشعر بمنتهى الحمايه... ذلك الشعور أنتاباني منذ أول مرةأحتضنتني ولم يفارقني الى الان...

أخيراً اتصلت بأحمد لأخبره بأنى أريد أن أكون معه مهما كان الثمن..........

كنت دائما أسالها ماذا كان سيحدث لو لم أقابلها... فتضحك بصوت عالى ،وتخبرنى أننا كنا سنتقابل على أى حال لأنه شىء قدرى. ومع ذلك كنت أقاوم نفسى كثيرا ... أحاول أن أتخلص من خوفى أن أفقدها أو أفقد أى شخص أحب... حاربت كثيرا حتى لا أفقد أحدا

مجددا بالفراق غير مبالية بالموت فقد أكون أنا التالية لذا فعلى الاستمتاع....

فاصل

الموت هو أكثر الحقائق وضوحا ومن الأقدار التي لا تتغير ،فالدعاء يرفع البلاء, والموت قدر لا يتغير. خلقنا الله مخيرين مصيرين, وسخر كل الكون لخدمتنا كل ما علينا أن نطلب.. نتمنى ..نعمل بقوة واثقين من النتيجة وستكون حقيقة متمثلة أمامنا...كل ذلك ينطبق على كل شيء سوى الموت....

عودة بعد الفاصل

اليوم هو يوم مناقشة الدكتوراة وفى الحفل كل أصدقائى ...حين نطقت الجلسة بمنحى الدرجة جرى نحوى أحمد عبد الوهاب زوجى الذى لم أفقد الأمل في أنه لى، وحين أخبرته أنى أريد أن أكون معه غير مبالية بأى شىء آخر بكى :لأنه كان ينتظرنى أن أعبر الأسوار وأكسر القيود لأكون معه ،ولم يكن هناك أخرى فى حياته بعد أن افترقنا، ومع كل هذا لم أستطع أن أعرف يوما كيف أحب أحمد هكذا، ولم أنسه أبدا، ومع ذلك تمنيت أن أكون مع خالد ربما هو روح أخرى قد قابلتها فى العالم الأول، ولم أستطع نسيانها ولا أستطيع أن أقاوم حنينى تجاهها ،وقد أخبرت أحمد بذلك ،ولكنه متفهم ولا يشك لحظة فى مدى حبى له.

في المناقشة تجرى عاليا نحوى لكن يعيق خطوتها ويثقلها أنها تحمل "هانى" ابنى من أحمد وتمسك بيدها والدتى ....

فاصل بلا عودة

يستطيع الإنسان أن يحلق بعقله بعيدا فى تجربة قاسية ليعالج نفسه من الالام عن طريق المرور العقلى بنفس الموقف مرة أخرى .وقد يكون هذا ما حدث لى وأنا أجلس مع عاليا فى التراس .وقد تكون هذه الصفعة التى جعلتنى أستفيق وأرضى بواقعى .وحين رضيت وجدت معنى الهنا الحقيقى .وتخلصت من هذا الشقاء الذى لزمنى طوال حياتى إلى أن قابلت عاليا .

يستطيع الإنسان أن يحلق إلى المستقبل وبناء على حاضره يستطيع التنبؤ بمستقبله "وإذا أراد تغيير هذا المستقبل عليه أن يغير حاضره" د/ إبراهيم الفقى -رحمه الله-.

*****

اللاعودة

العقل البشري قد يكون آلة إنقاذ أو آلة تدمير؛فقد يعطينا أسبابا للحياة وقد يدلل لنا على وجوب موتنا، يسجل كل الأحداث...لكن يعطينا فقط المشاهد التى تعزز أهدافه... إذا تواجد أربعة أشخاص في حدث واحد من البداية للنهاية ستسمع أربع روايات متقاربة ...تفاصيل مختلفة...تبريرات معقدة غير متصلة وليس لها أساس واحد.....حاول أن تتصالح مع عقلك ،أن تجعله يعمل لصالحك فقد يكون ملاذك الأخير عن قريب...

مع تمنياتي لكم

بسلامة العقل

سارة حجازي

الكاتبة فى سطور

حاصلة على:

ليسانس اداب قسم اثار الفرعونية سنة ٢٠٠٦

دبلوم الارشاد السياحى باللغه الانجليزية من كلية السياحة والفنادق، جامعة حلوان ٢٠٠٨

تمهيدى ماجستير فى علم المصريات ٢٠٠٩

حاصلة على درجة الماجستير في علم المصريات ٢٠١٤

تمهيدي دكتوراه في علم المصريات ٢٠١٤

أعمال سابقة

بره الدايرة		مجموعة قصصية

تحت الطبع

-نساء كسر		رواية



Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

اللاعودة

العقل البشري قد يكون آلة إنقاذ أو آلة تدمير؛ فقد يعطينا أسبابا للحياة وقد يدلل لنا على وجوب موتنا،
يسجل كل الأحداث...
لكن يعطينا فقط المشاهد التى تعزز أهدافه...

إذا تواجد أربعة أشخاص في حدث واحد من البداية للنهاية ستسمع أربع روايات متقاربة ...تفاصيل مختلفة...تبريرات معقدة غير متصلة وليس لها أساس واحد.....حاول أن تتصالح مع عقلك بأن تجعله يعمل لصالحك فقد يكون ملاذك
قريب...





ISBN 9789776436688
9 789776 436688

الغلاف : مي يسري

